
روايات مصرية للجيب
زهور
119
ملك النار
« جزء 2 »
Looloo
www.dvd4arab.com
فوزى عوض

هذه السلسلة

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء .

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة .

يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفواح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبة والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا .

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال الشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

الفصل الأول

للحظة لم يدر (علاء) ماذا يفعل .. تسمّر فى مكانه محدّقًا فى وجه (حسين) دون أن ينبس ببنت شفة ، أو يطرف له جفن .. ها هو (حسين) يفجّر فى وجهه مفاجأة لا يكفى وصفها بالمروعة أو المفزعة .. مفاجأة أكبر وأخطر كثيرًا من تلك المفاجأة اللعينة التى سبق أن فجّرها فى وجهه سائق نقل المواد البترولية حين أخبره بأن السولار الذى يبيعه له هو وغيره من السائقين مسروق ، فمفاجأة السائق كشفت عن سرقة بضعة لترات من السولار أو البنزين لحساب السائق نفسه ، أما مفاجأة (حسين) فقد كشفت عن سرقة آلاف الأطنان من هذه المواد يوميًّا ، ولحساب مافيا ، لا يعلم حجمها وخطورتها أحد غير الله ..

وعندما يكتشف أنه سبق له أن عمل مع هذه المافيا لأكثر من شهر متواصل دون أن يدرى ، وأنه عاد اليوم ليواصل عمله بمنتهى الحماس ، فإن المفاجأة هنا لابد أن تتحول إلى مصيبة .. مصيبة كافية لأن تنسف عقله وأعصابه فى التو واللحظة ..

لكنها ويا للعجب لم تفعل به شيئًا من هذا !!

لم تصدمه ، ولم تفجّر غضبه وسخطه كما فعلت به مفاجأة السائق ، بل حركت فى أعماقه شعورًا مغايرًا تمامًا !!

شعورًا أشبه بالنشوة !!!

نشوة غامضة غير مفهومة ، ولكنها راحت تتنامى وتطفو من أعماقه حتى سرت فى عينيه كتيار من بريق باسم ، وتبدّت على وجهه راسمة طيف ابتسامة ، وعندما انتبه إلى دهشة (حسين) استدار نحو الترعة مطلقًا نظراته الباسمة بعيـدًا إلى الأفق ، وراح يدير عقله بحثًا عن تفسير لهذه النشوة ، ولم يطل بحثه ، فسرعان ما توقف عقله أمام الحقيقتين اللتين ارتكزت عليهما مفاجأة (حسين) .

أما الأولى : فهى أن السرقة هنا بالملايين لا بالملاليم ..

وأما الثانية : فإنها لعبة « مافيا » .. أى لعبــة عقول جبارة وقوة ونفــوذ ..

وإذن فهذا هو مبعث نشوته .. أن هاتين الحقيقتين مستا شيئًا ما بداخله .. شــيئًا كان كامنًا فى أعماقه كثعبان بحــرى كامنًا فى أعماق بحــر خضم انتظارًا لصيد يستحق الانطلاق .. شيئًا كثيرًا ما عبّر عنــه مازحًا مع أصدقائه بالمثــل العربى الشائع « إن سرقت اسرق جمل » .. وها هو الجمل قد ظهر .. ويا له من جمل !!!

★ ★ ★

وانفتحت شهية (عــلاء) للعمل إلى حد الشراهة ، فعاد يقف بمنتهى الحيوية والحماس إلى جوار عربة السولار والبراميل مطلقًا نظراته بعيدًا إلى السيارات المقبلة فى يقظة متناهية ، حتى إذا ما لمح إحدى ناقلات المواد البترولية قادمة ، أسرع يلوح لها بكلتا يديه بمنتهى الإلحاح وهو يقفز معترضها فى نهر الطريق كالفهــد الهائج حتى يجبرها على التوقُّف ، ولا يخلى سبيلها إلا بشراء ما يستطيعه من السولار من سائقها .. أسلوب غريب ابتدعه لنفسه ، وأغرب ما فيه أنه كان يبدأ بهذا الإكراه الذى يثير حفيظة السائق وغضبه ، ولكنه ما يلبث أن ينتهى برضائه وسعادته بالتعامل مع (علاء) .. ولم يكن من الصعب

إدراك السبب أو الأسباب .. إنها قدرة (علاء) المذهلة على الإقناع مغلفة بخفة ظل متناهية تغزو القلب ، وفوق قدرته هذه وخفة ظله روحه المُبهجة المتوهجة التى يصعب مقاومة سحرها .. تلك الروح التى بدت كشمس كانت تحجبها غيوم كثيفة قاتمة ، وسحب ثقيلة داكنة ، وما إن انقشعت تلك الغيوم والسحب حتى كان شروقها الساحر الذى يأسر الأفئدة ، ويغمرها بالبهجة ..

وبهذه الروح العجيبة ، وبابتسامته الربيعية المشرقة التى تضىء وجهه ودع (علاء) أحـد السائقين ، ثم استدار ليفرغ الأربعة جراكن سولار التى اشتراها منه فى العربة ، فإذا بصفارة شبابية عالية تشبه صفارات مشجعى مباريات كرة القدم تأتيه من الناحية الأخرى للطريق .. التفت فإذا بفتاة عشرينية العمر رائعة الجمال والأناقة ترفع له إبهامها بإشارة إعجاب من أمام مقـود سيارتها الأوبترا الفضية الواقفة قبالته .. تلفَت حوله باحثًا عمن تشير له ، فلم يجد أحدًا سواه ، عاد ينظر نحوها ، فإذا بها تنزل من السيارة ، وتعبر الطريق مقبلة عليه بابتسامة جريئة مفعمة بالشقاوة لم ير لها مثيلاً فى حياته .. تسمّر فى مكانه محدقًا فيها فى دهشة وتساؤل ، فإذا بها تتجاوزه إلى البراميل وتتفقدها ،

حتى إذا ما وجدتها جميعًا ممتلئة بالسولار، التفتت إليه قائلة فى ابتهاج :

ــ براڤـو ..

فغر فاه وهو ما زال متسمّرًا فى مكانه يحدق فيها مبهوتًا دون أن ينبس ببنت شفة ، فإذا بها تقترب منه مردفة بجرأتها وشقاوتها المذهلتين :

ــ ولكن ما هـذا الـذى تفعله يا مُز ؟! إنك تقطـع الطريق على السائقين ، ألا تخشى أن يدهسك أحدهم أو يخطفـك معـه فى كابينة سيارته ؟! لكن براڤو .. طريقتك جديدة ، وأنا يهوسنى الجديد .. ماذا يا مز ؟! هـل ستظل مغروسًا فى الأرض هكذا ؟! هيا افعـل شيئًا ! قل شيئًا ! لا تقـف هكذا مثـل المسمار .. ألم تسمع عمنا (كاظم الساهر) ؟ أم أنك أصم لا تسمع ؟ هل وقعت أذنيك منك فى البراميل ؟ لكن لا .. لا .. ها هما فى مكانهما ..

وأسرعت تمد يديها لتمسك بأذنيه ، فإذا بقبضتيه تسبقهما بالقبض على معصميها بقوة وعنف جعلاها تتأوه ألمًا ، ولكنه لم

يبال بتوجعها ، بل مضى يسألها بمنتهى الهدوء وهو يفترسها بنظرة شرسة مخيفة :

ــ ماذا ؟! ماذا يا مختلة ؟! من أنت ؟! هل سقطتى من سيارة مجانين ؟!

وكان ردها بمنتهى الألم والغضب وهى تحاول تخليص معصميها من قبضتيه :

ــ من منا المجنون يا متخلف ؟!

ــ أنا متخلف ؟!

ــ ومسعــور .

ــ مسعور ؟! إذن دعينى أحتفظ بقطعة منك للذكرى .

وهم بأن يدفع بيدها اليمنى بين فكيه ، فإذا بصيحة (سمر) الضاحكة تشل حركته تمامًا :

ــ لووووووءة .

التفت نحو الصوت ، فإذا بحبيبته تقفز من سيارة الفتاة ، وتقبل عليــه ركضًا تسبقها ضحكتها الحلوة .. انفلتت غمغمته الذاهلة وهو يحدق فيها مبهوتًا :

ــ ســمر !!!

وأسرعت (سمر) تحرر معصمى الفتاة من قبضتيه ، بينما هو متسمر فى مكانه ينقل بصره بين الفتاتين فى ذهول وتساؤل حتى التفتت إليه (سمر) قائلة بضحكتها :

ــ إنها ابنة خالى يا (لوءة) .

التفت بذهوله إلى الفتاة ، فإذا بها تضغط معصميها فى بعضهما من الألم ، وانتبهت لها (سمر) ، فأسرعت تمسك بمعصميها ، وتدلكهما فى حنان وهى تعتذر لها :

ــ أنا آسفة يا (أميرة) يا حبيبتى .. أنا آسفة .. أنا السبب .

وكان رد (أميرة) وهى تكاد تبكى من الألم :

ــ كان سيأكلنى يا (سمر) .

والتفتت ترنو له فى ذعر جعله يسارع بالاعتذار لها وهو يغرق فى خجله :

ــ أنا آسف .

أسرعت تسأله بتوجعها فى سخرية ودهشة :

ــ ما هذا ؟! هل تعرف الاعتذار مثلنا ؟!

وكان رده سريعًا :

ــ ومستعد لفعل أى شىء يجعل حضرتك تسامحينى .

وإذا بهتفة (سمر) بمنتهى الدهشة وخفة الظل :

ــ ما هذا ؟! أسد الصعيد يعتذر بكل هــذه الرقــة ؟! ليتنى كنت (مرمرًا) ..

لاح على شفتى (أميــرة) طيف ابتسامة إطراء ، وهمّت بأن تقول شيئًا ما ، فإذا بـــ (علاء) ينكّس رأسه فى خجل صادق غامر .. أشرقت ابتسامتها قائلة له :

ــ من حُسن حظك أن (سمر) تحبك .. وبابا أيضًا يحبك .

فوجئ :

ــ بابا ؟!

وأسرع يلتفت إلى (سمر) متسائلاً بعينيه بدهشته الطاغية ، فكان رد (سمر) فى زهو وسعادة :

ــ (أميرة) ابنة خالى (شحات) يا لوءة .

ــ يا نـهار أسود !!!!

انفلتت منه الكلمة بمنتهى الفزع ، وكانت صدمة لـــ (أميرة) ذهبت على الفور بابتسامتها ، وجعلتها تحدق به متسائلة فى بهوت :

ــ نـهار أسود ؟!! نـهار أسود لأننى ابنة المعلم (شحات) ؟!

أما (سمر) فقــد انفجرت ضاحكة مــرة أخرى ، مما جعل (أميرة) تسألها فى غيظ :

ــ ما الذى يضحكك أنت أيضًا يا متخلفة ؟!

ولم تستطع (سمر) أن توقف ضحكتها ، فما كان من (علاء) إلا أنه أسرع يجيب (أميرة) بفزعه وذهوله :

ــ إنـها تضحك على تخلفى أنا يا آنسة (أميرة) .. تضحك لأنـها اكتشفت أننى حمار .. حمااااااار .

ــ وأنا لا مكان لى بين متخلفة وحمار ..

باى ..

واستدارت (أميرة) راكضة نحو سيارتها ، وانطلقت (سمر) تركض خلفها مودعة (علاء) ، وصائحة عليها بأعلى صوتها :

* * *

ـ باى يا (لوءة) .. انتظرى يا مجنونة ! خذينى معك !

وقفزت الفتاتان داخل السيارة ، وانطلقتا بها تاركتين صاحبنا متسمرًا فى مكانه وعينيه عليهما ، كتمثال يجسد البلاهة فى قمتها .

★ ★ ★

وفى السيارة لم تتوقف (سمر) عن الضحك والحديث عن (علاء) غير منتبهة إلى انفصال (أميرة) عنها تمامًا بكل حواسها .. إنها حتى ليست مع سيارتها المنطلقة بها ، ولا مع الطريق الممتد أمامها .. إنهـا مع (عـلاء) .. مع وسامته المغمورة برجولة حادة .. مع قوة بنيانه وعافيته التى كادت تهشم عظامها .. مع كبريائه الذى جعله يتصدّى لها بكل هذه الحدة دون أى اعتبار لجمالها الذى يضعف أمامه كل من يصادفه .. مع خجله الداهم فور علمه بأنها قريبة (سمر) ، واكتشافه أنها كانت تمازحه ، وأخيرًا مع تلك البراءة الدافئة المنسابة فى عينيه جاعلة منهما عينى طفل لم يعكّر صفوهما شىء من قسوة الحياة أو مكر البشر .. قوة وكبرياء وبراءة .. يا له مـن مُز كامل الأوصاف .. مُز ليس هذا مكانه .. نعم ليس هذا مكانه ..

★ ★ ★

الفصل الثانى

همست (سمر) فى موبايلها بسعادة طاغية :

ـ حالاً سأكون بين يديك يا أجمل صعيدى فى « مصر » كلها .

وأغلقت الموبايل وهى تكاد تطيـر من فرحتها .. يا لها من طفلة ساحرة رغم تجاوزها العشرين من عمرها .. براءة الملائكة كلها فى وجدانها ، وحبها لفتاها يتدفق فى قلبها ساخنًا متأججًا جاعلاً منها فراشة محمومة هائمة محلقة ، هيجها وهج الحب ، فاشتعلت رغبتها فى ملء الكون تحليقًا ، وبهياجها المفعم بسعادتها .

اندفعت إلى دولاب ثيابها ، وراحـت تُقلّب فيـه وهى تغرد رائعة (شادية) التى تفيض عذوبة ورهافة :

آه يا اسـمرانى اللـون

حبيبى يا اسـمرانى

آه ياللى عيـونك شـمس

وضحكة وبحر ونسمة صيف

وأقبلت (عزيزة) مبتهجة الملامح كعادتها كلما سمعت تغريد ابنتها بهذه الأغنية تحديدًا .. إنهما صديقتان أكثر منهما أم وابنتها ، فلا فارق يُذكر بينهما فى الرشاقة والحيوية والمرح رغم فارق العمر الذى يتجاوز الثلاثين عامًا ، وما إن شاهدت (عزيزة) ابنتها بحالتها هذه ، حتى وجدت نفسها تبتسم وتسألها :

ـ إلى أين يا آنسة مجنونة ؟!

وكان رد (سـمر) وهى تواصل ارتـــداء « باديها » الأبيض الشاهى المطرز بالترتر الفضى فوق چيبها الكتانى الطويل الأسود :

ـ إلى أسدى وأسد الصعيد كله .

وجلست أمام المرآة ترسم مكياچها وهى تردف بسعادتها :

ـ دعانى إلى زفاف قريبة له تسكن فى « الوايلى » .

وفرغت من رسم مكياچها ، ومضت تلف رأسها ووجهها بطرحة ناصعة البياض تزدان حوافها بتطريز ذهبى لامع فإذا بها بدرًا بهيًا فاتنًا فى تمامه ، ولم تملك (عزيزة) إلاّ أن تتمتم وهى تتأملها بقلب مبتهج :

ـ باسم الله ! ما شاء الله !

وأخذتها بين يديها ، وأردفت داعية لها من قلبها .

ـ الله يحرسك من العين ، ويحفظك من كل سوء يا ضنايا .

وإذا باحتجاج (سمر) سريعًا :

ـ قـولى يا صديقتى يا (عزيزة) .. قـولى يا صديقتى ، ولا تقولى يا ضنايا هذه ، فنحن صديقتان ، وأروع صديقتين فى هذا الكون .

ـ طبعًا يا حبيبة قلبى .. طبعًا ..

وأخذتها (عزيزة) فى حضنها ، ثم انتبهت ، فأردفت :

ـ لحظة واحدة .

وسارعت بمغادرة الحجرة ، لترتد وفى يدها مائة جنيه ، دستها فى يد (سمر) قائلة :

ـ خذى هذه يا حبيبتى ، أخوك (ناصر) تركها لكِ ، وإذا احتجتِ أكثر اتصلى به .

ـ ربنا يسعده ، والله يا ماما وحشنى .. هذا رابع يوم لى أنام قبل أن يعود ، وأستيقظ بعد أن يخرج .

ــ غضب عنه يا حبيبتى ، فهــو حامل مسئوليتنا أنا وأنت وإخوتك الثلاثة منذ وفاة والدكم الله يرحمه قبل سبع سنوات ، والعمل مع خالك (شحات) صعب ، لا يعطه فرصة كى يأخذ نفسه .

ــ الله يعينه ، ويبارك فيه يا ماما .. إنه نعم الأخ .

ــ ربنا يبارك فيه وفيكم يا ضنايا .

ومرة أخرى أسرعت (سمر) تنبهها باسمة :

ــ يا صديقتى لا يا ضنايا يا (عزيزة) .

وابتسمت (عزيزة) مستدركة :

ــ يا صديقتى .

وتعانقت الاثنتــان ، والتقطــت (سمر) حقيبتها البيضاء ، واستدارت منصرفة يغمرها بهاء جمالها وأناقتها ، بينما (عزيزة) من خلفها تتمتم داعية من قلبها :

ــ ربنــا يعطينى العمــر حتى أراكِ سعيدة فى ذراع عريسك يا حبيبة قلبى .

★ ★ ★

أبدًا أبدًا لم يسبق لــ (علاء) أن رأى حبيبته بكل هذا الجمال والفتنة .. خفق قلبه أشد وأحلى خفقة فيما مضى من عمره ، وبرقت عيناه افتتانًا وهو يشاهدها مقبلة عليه ملكة جمال يافعة العــود ، قمرية الوجــه ، رشيقة الخُطى ، متوهجة الفتنة رغم حِجابها .. افتتانه بهــا جمّده فى مكانه على كورنيش ترعة « الإسماعيلية » ، وجمّد عينيه عليها وهى تعبر الطريق نحوه حتى وقفت أمامه ، فإذا به يرفع عينيــه الذاهلتين نحــو القمر المكتمل العالق فى السماء ، ثم يهبط بهما مرة أخرى إلى وجه حبيبته ، معاودًا التحديق فيها بنفس افتتانه ودهشته وقد بلغت حد البلاهة المضحكة ، فلم تملك (سمر) إلاّ أن تهتف به فى دهشة لأمره :

ــ إيــه ؟!

رفع سبابته فى تردد مشيرًا لها نحــو القمر وهــو يسألها بدهشته التى غشيت عقله :

ــ ما هذا الواقف هناك فى السماء ؟!

وجاءه جوابها بدهشة :

ــ القمر .. البدر .



ــ فمن تكونى أنت إذن ؟!

غردت ضحكتها فى دلال :

ــ حبيبتك .

وكأنها أضرمت فيه حريقًا .. انطلقت صرخته مكتومة :

ــ يا بووووووووى !!

أسرعت تهتف به مشفقة عليه :

ــ عم الصعيدى ؟! ماذا حدث لك ؟!

أسرع يضع يده فوق رأسه ، ويردد وكأنه يندب :

ــ ماذا حدث لى ؟! حدث لى شىء صعب .. صعب يا بوى .. أخذت ضربة قمر فوق أم رأسى .

انفجرت ضاحكة مرة أخرى :

ــ ضربة قمر ؟!

ــ علام تضحكين ؟! علىّ أم على حظى ؟! الناس كلها تأخذ ضربة شمس ، وأنا أخــذت ضربة قمـــر ، ورحمـــة كل أموات « أسيوط » ضربة الشمس أرحم منها مليون مرة .

ــ واضح يا عمنا .. واضح .

ثم أردفت وهى تحاول جاهدة إيقاف نوبة ضحكها :

ــ هيا بنا مــن هنا .. هيا قبــل أن يتجمع الناس ، ويأخذونك منى إلى مستشفى الأمراض العقلية .

انفلتت هتفتـــه :

ــ ماذا ؟! لا .. لا .. كله إلاّ هذا .

واستدار هاتفًا :

ــ تاكسى !

وتوقف التاكسى ، وفتــح (عــلاء) الباب الخلفى لحبيبته ، وانحنى لها قائلاً :

ــ تفضلى يا مولاتى .

وركبت (سمر) ، وركب إلى جوارها مردفًا للسائق :

ــ مركز شباب الوايلى يا أسطى .

أقل من نصف الساعة وكان (علاء) يدخل قاعة زفاف قريبته بحبيبته تتأبطه ، وفوجئـــت (ســمر) بغــزارة أقاربه حتى إن القـــاعة لم تسعهم ، فراحـــوا يتزاحمون خارجها ، وفوجئت

أكثر باستقبالهم له بحفاوة وحميمية واحترام بالغ ، واستوقفها كثيرًا كثرة الفتيات المقاربات لها فى السن والجمال ، واستوقفتها أكثر سعادتهن جميعًا بقدوم حبيبها ، واستوقفها أكثر وأكثر بريق الإعجاب هذا الذى ومض فى عيونهن وهن تتأملنه وكأنه فارس أحلامهن جميعًا .. غمرتهـــا الدهشـــة ، ووجـــدت نفسها تلتفت بدهشتها إلى حبيبها .. هنا فقط انتبهت إلى وسامته الساحرة ، وإلى تصفيفة شعره العصرية جدًا ، وإلى أناقته المدهشة فى ثيابه الكجوال الجديدة انخطف قلبها ،، وانبثق فى داخلها إحساس جارف بالافتتان بحبيبها ، وإذا بإحساسها هذا يدفعها لأن تهتف فى حبيبها بأعلى صوتها : « بحـــبك » ، ولأن تهتـــف فى كل هـــذه الفتيـــات المسلطات عيونهن عليـــه بأنه حبيبها .. حبيبها هى وحدها .. حبيبها الذى اصطفاها قلبه من دونهن ، ومن دون بنات حواء أجمعين .. حبيبها الذى وهبها مفاتيح قلبه ، وأبى إلاّ أن تدخل قلبه ملكة متوّجة .. حبيبها الذى أقرها وحدها قبلة حبه .. حبيبها الذى أقر حبها له شمس نهـــاره ، وقمـــر ليله ، وزاد طريقه .. حبيبها الذى يدفعها افتتانها به الآن لأن تهتف بحبه بأعلى صوتها ، ومن أعمق أعماق قلبها .. نعم يدفعها قلبها لأن تفعلها ، ولكن ، وياللآسف عقلها الرصين لا يطاوعها ..

لم تملك إلاّ أن تضغط ذراعه بقوة بين ذراعيها وهى تهتف فيه بعينيها : « بحبك » ، ولم يملك هو إلا أن يجيبها بابتسامة مفعمة بشغفه وفرحة قلبه بها ، ومضى يقدمها لأقاربه على أنها عروسه المنتظرة ، حتى بلغ بها العروسين فى كوشتهما ، وما إن قدمها لهما ، حتى جاءته مجاملة العروس فى سعادة :

ــ عروسك أحلى من القمر يا (لوءة) يا ابن خالتى .

وكان رد (سمر) بابتسامتها الفاتنة :

ــ أنت التى أحلى مليون مرة من القمر يا حبيبتى .

وإذا برد العروس ضاحكة بشقاوة :

ــ لو كنت أحلى من القمر لكان (لوءة) يجلس إلى جوارى هنا الآن .

وفوجئت (ســمر) ، وأسرعت تنظـــر فى توتر إلى العريس الصعيدى ، فإذا برده وهو يبتسم فى سماحة وخفة ظل متناهية :

ــ لا تندهشى هكذا يا آنســـة (ســمر) .. عـــروستى الفاتنة هذه ، وعريسك الوســـيم هـــذا طوال عمرهما مضـــرب المثـــل فى شـــقاوتهما فى النجـــع ، ولـــولا ابتعاد عريسك

عنها هنا فى « مصر » ما كنت استطعت اصطيادها ولا بأسحار كل دجالين بلدنا .

وانفجر الأربعة ضاحكين ..

وهنأ (علاء) وحبيبته العروسين ..

وفرغا من أداء الواجب ..

وغادرا القاعة يسبقهما ضحكهما .. مضيا تحت القمر عصفورين سعيدين .. محلقين .. مغردين .. لا يكاد فضاء الكون بأكمله يسعهما تحليقًا وتغريدًا .. وقفا أمام مركز الشباب متأبطان فى انتظار ظهور تاكسى .. وجاء تاكسى وثان وثالث ، والكل يرفض الاتجاه إلى عزبة (شلبى) ، فما كان من (علاء) إلا أنه داعب حبيبته قائلاً :

ــ هؤلاء الأغبياء ! ألا يكفيهم تواضع الملكة وتنازلها بركوب التاكسى ؟!

وكان رد (سمر) فى إجلال باسم :

ــ بل الملك هو الذى يستحق أفخم سيارة ملاكى فى « مصر » كلها .

وما كادت تتمها حتى كانت سيارة چيب « مرسيدس » ضخمة فى غاية الفخامة تفرمل أمامهما ، وينزل منها شابان فى ضخامة وحوش المصارعة الحرة ، وعلى وجهيهما ذهول وغضب مفزع ، وما كـــادت (سمر) تشاهدهما ، حتى انفلتت منهـــا غمغمتها بمنتهى الفزع :

ــ يا مصيبتى !! خالى (رفعت) !! أخى (ناصر) .

★ ★ ★

الفصل الثالث

فى شارع تكاد تنقطع فيه الحركة بمدخل محافظة «6 أكتوبر» ، وداخل بدروم عمارته التى تحت التشطيب جلس (رفعت) بمنتهى الهدوء فى مقعد بلاستيك ، واضعًا ساقًا فوق ساق ، ومن حوله وقف أربعة شباب أقوياء من عَماله رهن إشارته ، وبنفس هدوئه أشعل سيجارة من علبة سجائره « المريت » ، وأخذ منها نفسًا طويلاً رفع بعده عينيه نحو (علاء) المعلق حافيًا من قدميه فى سقف البدروم ، وراح يتفرسه بنظرة طويلة مشحونة شحنًا بالشماتة ، بادره بعدها قائلاً بهدوئه وشماتته :

ـ ها يا عم الفاجر ؟! ما حكايتك ؟! ما كل هذا الفُجر ؟! فى الأولى تترك العربة والبراميل والسولار على طريق ، وتجرى دون أى اعتبار للرجل الذى تعمل عنده !!

وفى الثانية تستفزنى ، وتعمل لقطة مسرحية تنتهى بأن أعتذر لك رغم أنفى !!

وفى الثالثة تأخذ بنت أخى الذى هو معلمك وسيدك ، وتسرح بها !!

ما هذا ؟!

ما كل هذا ؟!

إلى هذا الحد أنت فاجر وقادر ؟!

وراح يضرب كفًا بكف فى دهشة تكاد تُفجر أعصابه ، ولكن يديه ما لبثتا أن توقفتا على صوت (علاء) يجيبه بنبرة هادئة ، ولكنها أقطع من حد السكين :

ـ لا .. لا يا معلم (رفعت) .. يا كبير .. أنت مخطئ .. فأنا حتى هـــذه اللحظـــة لم أكـــن فجرت ، ولم تكن رأيت منى فُجرًا ، فلم يكن هناك أى فُجـــر فى شىء مما عددته . الفُجر الحقيقى يا معلم سوف تراه ، وتمـــلأ عينيك منـــه .. سوف أريه لك .. أتعلم متى يا كبير ؟ يوم أن أعلقك حافيًا مـــن قدميك بنفس هـــذه الطريقة التى علقتنى بها هكذا ، وأقسم لك بالله .. أقسم لك بالله أنى من هذه اللحظة لن أعيش إلاّ لهذا ، ولن يمنعنى من هذا إلاّ الموت ، وأنت ونصيبك معى .

صاعقة !!!

صاعقة من جهنم هوت فوق (رفعت) ..



فوق رأسه ..

صعقت عقله ..

صعقت شبكة أعصابه كلها دفعة واحدة ..

نزلت ساقه من فوق الأخرى ..

جحظت عيناه محدقة فى الفتى المعلق ..

افتغرت شفتاه تريد نطقًا ، ولكن صوته كان قد احتبس ..

تحركت يده ساحبة مسدسه من جرابه ..

وبكل جنونه صوبه نحو الفتى المعلق ..

وتحركت سبابته على الزناد ..

وإذا بصرخة رعدية مروعة كادت تدك البدروم على من فيه ..

ـ رفعـــــت !!

وقبل أن يلتفت (رفعـت) إلى مصدر الصـوت كان المعلم (شحات) قد دفعه بمقعده دفعة مروعة ، أطاحت به فوق الأرض ، وقفز فوقه بكل قوته ، قابضًا بيديه على المسدس .

★ ★ ★

مثل قطـة خطفـوا وليدها من حضنها راحت (سمر) تلف وتدور كالمجنونة فى حجرتها الموصدة عليها بالمفتاح من الخارج ، بينما دموعها لا تتوقـف عن التدفق من عينيها ، ولسانها لا يتوقف عن التوسل إلى الله بأن ينقذ حبيبها ..

مضت تلف وتدور حول نفسها تارة ، وتقترب من باب الحجرة مصيخة السمع لما يجـرى خارجها تارة ثانية ، وترفع عينيها الدامعتين الحمراوين المتورمتين بالتضرع إلى ربها تارة ثالثة ..

لم تبال بالضرب الهستيرى الغشيم الوحشى الذى نالته من (ناصر) لأكثر من ساعتين متواصلتين ، حتى إنه لم يترك قطعة فى جسدها دون تورم أو جرح أو نزف ..

ومع مرور الساعات والدقائق والثـوانى بها دون أن تسمع كلمـة تطمئنها على حبيبها كان فزعهـا عليـه الذى ينهشها يزداد ضراوة ، فتزداد دقات قلبها وتتسارع ، حتى أوشك التوقف عـن النبض ، وأوشكت هى نفسها السقوط على الأرض فاقدة الوعى .

وإذا برحمة المولى (عز وجل) تدركها ..

جاءها صــوت (ناصر) مــن الصالة يقول لأمه بعصبيته الصعيدية الغشيمة :

ـ خالى (شـحات) أنقــذ ابن الحــرام مــن مسدس خالى (رفعــت) .. ابن الحرام .. كُتب له عمر جديد !! كُتب له عمر جديد !!

★ ★ ★

فى حجرة نوم آية فى الروعــة والفخامة ، وفى فراش وثير تخطف زهوته القلب جلس (علاء) القرفصاء ، محتضنًا ركبتيه بذراعيه ، ملقيًا برأسه للخلف على ظهر السرير الأبيض المبطن بقطيفة زهرية لامعة ، غير منتبه لتسمُّر عينيه على سقف الحجرة بجحوظ عيون الأموات ، ولا منتبه للمكان الذى يجلس فيه ، ولا للوقت مــن حيث كونه ليــلاً أم نهــارًا ، ولا لأى شىء من مفردات الحيــاة .. تلبّسته حالة سوداوية غاشية فصلته تمامًا عــن الوجــود مــن حوله ، أما مــن داخله فلم تترك له وعيًا ولا إدراكًا ولا إحساسًا إلا بحقيقة واحدة الموت أرحم ألف مرة من الوعى بها ، وهى أن كرامته نُحرت ..

نُحرت شر نحرة ..

نُحرت كما لم تُنحر كرامة آدمى من قبل ..

نُحرت ولم تخلف وراءها سوى شيئًا واحدًا .. العــار ..

نعم العار ..

عار ليس كمثله عار ..

عار لا يمحوه الموت نفسه ..

فما الذى يمحوه يا ربى ؟

ما الذى يمكن أن يمحوه ؟

آ اااااااااااااااااه يا عارى .

هكذا دوّت الصرخة داخل الفتى .. صرخة ألم رعدية مروعة سحقت عقله وأعصابه وكافة حواسه ..

صرخة مــوت ..

صرخة مظلوم أشعلوا فيه النار حيًا ..

فمن يغيثه من عذابه ؟



من يغيثه ؟

ها هو باب الحجرة يُفتح ، ويدخل المعلم (شحات) بوسامته الصعيدية المُطفأة بغمه واختنـاقه ، وبطـوله الفـارع وجلبابه الزيتونى الفاخر ، وبعمامته البيضاء الشاهية التى تتوّج رأسه كتاج ملك يعتز بملكه .. رد الباب برفق ، واستدار محدجًا الفتى بنظرة اختناق ، جلس بعدها فى فوتيـه مقابل له ، واضعًا ساقًا فوق ساق .. أشعل سيجارة بولاعته الذهبية ، ثم رفع عينيه نحو الفتى مرة أخرى ، وراح يتفرّسه بنظرة يمتزج فيها الغضب بالشفقة .. غضب منه لتجرأه على عرضه ، وهو الصعيدى الذى يدرك جيدًا فداحة هذا الأمر فى نفوس وعقول الصعايدة ، وهول الغضب الذى يثيره فيهم ، وشفقة عليه مما فعله به (رفعت) ، وهو أيضًا أمر أوعر من القتل فى نفوس وعقول الصعايدة .. ليته قتله وما فعل به هذا .. صعيدى يُعلق من قدميه كالخروف ؟!! لو علمت ناسه لجن جنونهم ، ولفتحوا أبواب جهنم على الأخضر واليابس .. الله يلعنك يا (رفعت) يا ابن أمى وأبى الله يلعنك .

هكذا ترددت دعـوة المعلم (شحات) بداخله بمنتهى الغم والاختناق ، وهـو يسلط عينيـه على (علاء) ، حتى انتبه إلى

انفصاله تمامًا عن الوجود إلى حد أنه لم يشعر بدخوله وجلوسه أمامه ، فشرع يستدعيه من غشيته بلهجة حادة غاضبة ، خلت من الشفقة :

ــ عـلاء !

ببطء الذاهل نزلت عينا (علاء) من سقف الحجرة على وجه المعلم ، واستقرتا عليه محدقتين فيه بجحوظهما دون بنت شفة من الفتى ، فكان سؤال المعلم له بحدته وغضبه المخيف :

ــ ماذا يا ولد ؟! ألم تسمعنى ؟!

وجاءه رد (علاء) ببلادة وهو يكظم الجحيم المتأجج بداخله :

ــ نعـم .

أخذ المعلم نفسًا من سيجارته وهو يتفرسه بعينيه الصقريتين ، ثم مضى يسأله :

ــ منذ متى تعرف (سمر) ؟

وبنفس بلادته كان جواب (علاء) :

ــ منذ سنة تقريبًا .

ــ خرجت معها كثيرًا فى هذه السنة ؟!

لم يجب (عـــلاء) فكانت هتفة المعلم (شحات) فيه بمنتهى الحـــدة :

ــ أجب يا ولـــد !

ــ نعـــم .

ــ لمـــاذا ؟

تردد الفتى قليلاً ، ثم كان جوابه :

ــ لأننا نحب بعضنا .

ــ أنت كنت تحبها ؟

ــ نعـــم .

ــ والذى يحب واحدة يسرح بها من وراء أهلها سنة ؟

صمت (علاء) مرة أخرى وهو يواصل تحديقه فى المعلم ، فأردف له الأخير قابضًا على لجام غضبه :

ــ لمـــاذا خرســـــت يا عـــم الحبيـــبَ ؟ انطـــق وأجبنى ! هل الحـــب عندك هو السرحان ببنات الناس فى الشوارع من وراء أهلهن ؟

ــ كل حبيبين يخرجان معًا حتى يتزوجا .

ــ حتى الصعايدة ؟

ــ أو ليس الصعايدة بشرًا مثل سائر البشر ؟

ــ أفهم من ذلـــك أنه مُباحًا لأى شـــاب يحب أختك ــ التى أخبرتنى أن سنها ستة عشر عامًا ــ أن يواعدها ، ويخرج معها ، ويسرح بها فى الشوارع والعتمة من وراء ظهرك ؟

انتفض (علاء) هاتفًا بعصبية جنونية :

ــ كنت قتلـــ ....

وسكت فجأة ، فإذا بالمعلم يسأله بغضبه الهستيرى المكبوت :

ــ ها .. أكمل .. كنت ماذا يا حيوان ؟

وإذا به يقفز من مقعـــده ، مختطفًا مسدسه من داخل جلبابه ، غارسًا فوهته فى جبهة الفتى ، منفجرًا فيه بغضبته المفزعة :

ــ كنت ماذا يا ابن الكلب يا واطى ؟ كنت قتلته ، أليس كذلك ؟ كنت قتله ، ومزقته قطعًا ، وألقيت بلحمه لكلاب الطرق ، أليس هذا ما كنت ستفعله به ؟ كنت ستفعل به هذا ، أتعلم لماذا ؟

لأنك رجل ، ولكنك سمحت لنفسك أن تفعل هذا بابنتنا لأنك لم ترنا رجالاً ، رأيتنا نسوانًا ، أليس كذلك ؟

هنا طار غضب (عـــلاء) وسخطه كله فى لمح البصر ، وانتفض هاتفًا فى المعلم :

ـ لا يا معلم .. لا .. أنت سيد الرجال ، والله العظيم أنت سيد الرجال ، ولم يسبق لى أن رأيت فى حيـــاتى ولا قابلت رجلاً فى رجولتك ولا فى هيبتك .

ـ إذن كيف تجرأت على عرضى ؟ كيف ؟

ـ لا يا معلم (شحات) لا ، ما عشت وما عاش أهلى جميعًا لو كنت فكرت فيها هكذا .

ـ كيف فكرت فيها إذن ؟

ـ فكرت فى أننى أحببت بنت أشرف وأحسن ناس فى العالم كله ، ولكن ظروفى لا تسمح لى بالتقدم لأهلها ، وأنت يا معلم خير من يعلم بظروفى هذه ..

ـ ولماذا لم تخبرنى بهذا ؟

ـ لأننى عرفت حضرتك متأخرًا ، فقلت فى نفسى : أنتظر بالمرة حتى تسمح لى ظروفى بأن أفاتحك فى الأمر .

وابتلع ريقـــه بصعوبة مـــن فرط انفعاله ، ثم مضى مستطردًا بمنتهى الندم والحسرة :

ـ هذا هو ما فكرت فيـــه ، وليتنى ما فـــكرت هكذا ، ليتنى ما فكرت ، فلـــو أننى كنـــت صارحت حضرتك بالأمـــر من بداية معرفتى بك .. ما كان حدث لى ما حدث ، ما كان أخوك ألبسنى ثوب العار إلى الممات .. ليته قتلنى .. ليته قتلنى ، ومزقنى قطعًا ، وألقى بلحمى لكلاب الطـــرق كما قلت حضرتك ، ليته فعل بى هذا ، لقد فعل بى ما هـــو أفظع من هـــذا آلاف المرات .. كسر نفسى ، وألبسنى العار إلى الممات .. اقتلنى يا معلم .. هيا اقتلنى .. هيا أفرغ طبنجتك هذه فى رأسى كى ترحمنى .. هيا يا معلم .. هيا أتوسل إليك وأقبـــل قدميك أن ترحمنى وتفعلها .. ماذا ؟ هـــل تخشى أن يسألك أحد فى دمى ؟ هل تخشى هذا ؟ أنا سأعفيك من المسئولية ، سأعفيك منهـــا .. سأفعلها أنـــا فى نفسى حتى لا يسألك أحد فى دمى .

وإذا بالفتى يختطف المسدس من قبضة المعلم ، ويغرس فوهته فى رقبته ، ويهم بضغط الزناد ، لولا صرخة المعلم وهو يسارع بلى يد الفتى بالمسدس بعيدًا عن رقبته لتنطلق الرصاصة مخترقة سقف الحجرة ، ولتدوّى صرختان هيستيريتان من خارج الحجرة :

ـ شحااااااات .. باااااابا .

وإذا بـ (أميرة) ووالدتها (رقية) تقفزان ممسكتان بالمعلم ، بينما الرجـل متسمرًا بينهما فى بهـوت ، ويده قابضة على المسدس ، وعيناه محدقتان فى الفتى بهـول ذهوله ، وحينما اطمأنت (أميرة) وأمها إلى أن (علاء) لم يصب بسوء تنفستا الصعداء ، وأخذتا المعلم إلى الفوتيه ، وأجلستاه ، ثم إذا بزوجته الصعيدية العفية تلتفت إلى (علاء) هاتفة فيه بمنتهى السخط :

ـ الله يلعنك ، ويلعن معرفتك الشوم .

وإذا بـ (أميرة) تسارع بسؤالها بمنتهى الدهشة والاختناق :

ـ لماذا يا ماما ؟! لماذا ؟! ما الذى حدث لكل هذا ؟! اثنان أحبا بعضهما ؟! القيامة قامت لأن اثنين أحبا بعضهما ؟! لأن شابًا أحب بنتًا من عائلتنا ؟! ماذا فى هذا ؟! ماذا فيه ؟! ثم إن بابا

سبق له أن حدثنا عنه بأنه شاب محترم ومستقيم ، ولطالما ذكره بكل خير ، فما الجريمة التى ارتكبها إذن ؟! الجريمة فى الذى فعله به عم (رفعت) .. هل يعقل أن يُعلق شاب من قدميه مثل الذبيحة ؟! هل يعقل أن يُفعل هذا بإنسان ؟!

المجرمون فى السجون الذين قتلوا وسرقوا واغتصبوا لا يُفعل بهم هذا ، وآدميتهم تُحترم ، فكيف فعل عمى به هذا ؟! كيف ؟!

والتفتت إلى أبيها موجِّهة حديثها إليه وهى توشك البكاء :

ـ ثم يا بابا هل لو كان شقيقى (عمرو) ما زال على قيد الحياة ، وارتبط بقصة حب مع فتاة ، هل كنت ستقبل عليه أن يُفعل به هذا من أهل الفتاة إذا ما علموا بالأمر ؟ هل كنت ستقبل عليه أن يُعلق من قدميه ؟ وبِمَ كنت ستشعر إذا ما فعلوا به هذا ؟

وماذا كنت ستفعل بهم ؟! أتعلم ماذا كنت ستفعل بهم يا بابا ؟! كنت ستحرقهم أحياء .. نعم يا بابا كنت ستحرقهم أحياء دون أن يُشفى غلك ، وكنت ستصرخ متسائلاً بقلب محروق : ماذا ارتكب ابنى كى يفعلــوا به هذا ، وهأنا يا بابا أسألك نفس السؤال .. ماذا فعل هــذا الشاب كى يفعل به عمى هــذا ؟! ماذا ارتكب ؟! ضعه فى مكان أخى (عمرو) ، واحكم يا بابا .

وجثت على ركبتيها أمام أبيهـــا وهى تجفف دموعهـــا التى انسابت من عينيهـــا ، وأمسكت بكلتـــا يديه مستطردة بصـوت حشرجة البكاء :

ـ انظر إليه يا بابا .. انظر إليه .. إنه فى عُمر أخى (عمرو) حين توفاه الله ، وفى احترامه واستقامته كما شهدت حضرتك له ، وكل ما فعله أنه أحب مثلما كان من حق أخى أن يحب .. وهو الآن يعانى عذابًا لا يتحمله بشر مـــن جـراء ما فعله به عم (رفعت) ، فماذا كنت ستفعل حضرتك بأخى لو فُعل به هذا ؟ ماذا كنت ستفعل به كى تنقذه من عذابه ؟ ماذا كنت ستفعل به .

وأجهشت الفتاة بالبكاء ، ولم يدر أبوها بنفسه إلا وهو يختطفها فى حضنه ، ويهتف فى (علاء) بسرعة وبالدموع :

ـ تعـــال !

وأقبل عليه (علاء) بالدموع ، حتى وقف بين يديه ، فإذا به يختطفه هو أيضًا فى حضنه مع ابنته ، ويضمهما معًا بطوفان هادر من الحب ، بينما راحـــت (رقيـــة) تجفف دموعها وهى مبهوتة من هول الموقف .

★ ★ ★

الفصل الرابع

بصدر مائدة عامرة بالإفطار لا تقل فى طولها عن أربعة أمتار ، ولا فى فخامتها عن موائد القصور جلس المعلم (شحات) ، وعن يمينه جلست (رقية) ، وإلى جوارها جلست (أميرة) ، بينمـــا جلس عن يساره (عـــلاء) مرتديًا جلبابًا صعيديًا ناصع البياض ، انعكس بياضـــه على وجهـــه الحليق النضر ، فأكسبه نورًا وبهاءً ساحرًا .

وللحظات ظل رأس الفتى منكسًا ، ونظراته مستقرة على حافة المائدة أمامه ، وقـــد بدا ذلك فى ظاهره خجلاً خالصًا يغمره ، ولكن فى الحقيقة لم يكن خجله يزن شيئًا يُذكر مقارنة بدهشته الجارفة مما يجـــرى له ، وعجـــزه عن الإمساك بجواب واحد لتساؤلاته التى هاجت بداخله دفعة واحدة .. ما هذا الذى يجرى ؟! أهى أحداث فيلم سينمائى من صُنع مؤلف شاطح الخيال ؟! أم هى أضغاث أحلام ستذهب عن صاحبها فور استيقاظه من سباته ؟! أمن جوار عربة السولار بشكله الأغبر ، وجسده وثيابه المعجونين بالسولار وشوائبه ورائحته ؟! إلى حفل زفاف قريبته وهو فى قمة وسامته ووجاهته وبهائه متأبطًا حبيبتـــه بكامـــل روعتها

وفتنتها وسحرها ؟! إلى تدليه من سقف بدروم معلقًا من قدميه كالذبيحة ؟! إلى حضن المعلم (شحات) مع ابنته الفاتنة فى ضمة واحدة ؟! ونومه فى بيت المعلم ؟! ومشاركته لأسرته طعامهم وشرابهم بكل هذه الحفاوة والحميمة والتكريم وكأنه عزيز لهم عائد لتوه من بعد غياب طويل ؟! وكل هذا فيم ؟! فى ساعات معدودات ؟! ما بين عشية وضحاها ؟!

سبحانك يارب !! سبحانك يا صاحب « كن فيكون » .. وسكنت تساؤلات الفتى كلها دفعة واحدة كما هاجت دفعة واحدة ، فلا تعجُب أمام قدرة المولى (عز وجل) .. انتبه على صوت المعلم (شحات) يناديه بأبوته الحانية الممزوجة بقوة شخصيته :

ـ أنت يا ولد !

أسرع يجيبه :

ـ أؤمرنى يا معلم .

ـ الأمر لله .. افصل ! افصل عما يدور فى رأسك ، ويأخذك منا هكذا !

وكان رد (علاء) بابتسامة رقيقة ، وبمنتهى الحياء :

ـ لا شىء فى الدنيا يستطيع أن يأخذنى منكم يا معلمى .

وإذا بـ (أميرة) تتدخل باسمة :

ـ إذن مد يدك ، وابدأ إفطارك !

ـ حاضر يا افندم .

قالها وهو يغض بصره أدبًا ، وفوجئ برد (أميرة) بجرأة وابتهاج :

ـ الله ! الله على « افنـدم » هـذه ! تسمح لى بالاحتفاظ بها كتذكار جميل منك .

ابتسم فى حياء دون أن يرفع عينيه إلى وجهها ، ودون أن يمد يده إلى طعامه ، فما كان من (رقيّة) إلا أنها تدخلت قائلة له بأمومة خالصة مفعمة بالحب والحنان :

ـ هيا يا حبيبى .. باسم الله .

ـ حاضر يا ماما ..

ومد يده إلى الخبز أمامه ـ غير منتبـه ـ إلى تعلق عينيها به بنظرة واجفة ، فقد هزت قلبها من أعماقه كلمة « ماما » التى لم تسمعها من شاب منذ اختطف الموت ابنها فى عز شبابه ..

كادت دموعها تخونها لولا أن المعلم (شحات) أسرع يربّت على يدها ، متبادلاً معها ابتسامة ذات مغزى ، أمسك بعدها بقطعة « كايزر » ووضعها فى فمها بكل ما فى قلبه من حنان ..

★ ★ ★

ـ أمامك ربع ساعة وتخرج لى أشيك مُـز فى العالم .

قالتها (أميرة) لـ (علاء) بحزم تلطفه ابتسامة ربيعية رائعة تضيء وجهها البيضاوى المتورد ، وتزيد مـن بريق عينيها النجلاوتين الساحرتين ، واستدارت مغـادرة الحجـرة ، تاركته متسمرًا فى وقفته وهو يشيّعها بنظراته الذاهلة ، حتى إذا ما أغلقت الباب خلفها استدار بذهوله محدقًا فى البدلات الست الجديدة ، ودستة القمصان ، وأربطة العنق الحريرية ، والجوارب ، والساعة الـ « رادو » ، وزجاجتى البارڤان المستوردتين المستقرة جميعها فـوق الفراش ، والأحـذية الأربع فى علباتها المستقرة فوق الأرض .. لحظات مرت به وهو متسمرًا فى مكانه بلا أدنى قدرة على الفهم ، حتى انتبـه على صـوت نقرات على البـاب ، وصوت (أميرة) تهتف قائلة :

ـ ها يا مُز .. مرت خمس دقائق من الربع ساعة .

أسرع يرج رأسه عدة رجات قوية سريعة متتابعة كى ينفض عنها ذهولها ، ثم أمسك بقميص أبيض ، وراح يفك أزراره ، وقبل أن تنقضى المهلة كان يغادر الحجرة إلى الريسبشن الضخم لتنطلق صفارة انبهار خافتة من شفتى (أميرة) بمجرد أن وقعت عيناها عليه وهى تقف بين والديها ، بينما وجدت (رقيّة) نفسها تتمتم بقلب خافق :

ـ باسم الله ما شاء الله !!

أما المعلم (شحات) فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ولكنها عكست انبهارًا يفوق انبهارهما ، وكان لثلاثتهم الحق فى انبهارهم العاصف هذا ، فقد فوجئوا أمامهم ببرنس شاب تكاد وجاهته تدير العقل .. وسامة الفتى الساحرة ، مع بدلته السوداء المجسمة على قوامه الممشوق ، وقد تلألأ من تحتها قميصه الأبيض الناصع ، وكرافتة الحريرى الأرجوانى بخطوطه الذهبية الدقيقة ، وحذائه اللميع الذى يبرق كالمرآة جميعهم معًا جعلوا من الفتى برنسًا وجيهًا يشع بهاءً ساحرًا يخطف القلب قبل العين ، ولم يملـك البرنس إلاّ أن يطرق بعينيه إلى الأرض فى حياء ، فقد غمره الخجل من تسلط عيون الثلاثة عليه بكل هذا الافتتان ، ولم يستطع أن ينبس ببنت شفة ، حتى سمع (رقية) تبادره قائلة ، وهى تربت على ظهره بأمومتها الفياضة :

ـ ربنا يحرسك لشبابك يا بنى .

بينما تقدم منه المعلم (شحات) بخطاه المتأنية ، حتى وقف أمامه يتأمله بانبهاره الرصين ، ولكن فجأة راح وميض تبسُّمه يتلاشى من عينيه لتحل محله غيمة تأثر ، فقـد داهمته فجأة ذكرى مؤلمة راح يكابدها لوهلة ، وجد نفسه بعدها يحتضن كتفى الفتى براحتى كفيه ، وينظر فى عينيه قائلاً بنبرة مشبّعة بالحزن :

ـ اسمع يا بنى ! ما رأيته منك حتى الآن هو أنك إنسان جميل الهيئة وجميل العقل ، فأدعو الله أن تكون أيضًا جميل الوفاء ، وأن تكون خير عوض عن ابنى الذى راح منى .

وأخرج الرجل منديلاً قماشيًّا فاخرًا من سيالة جلبابه ، ومسح دمعة خانته ، وتزلزل (علاء) من أعماقه ، فلأول مرة يرى دموعًا للرجل المهيب الذى أخذ من الأسد الهصور كل جسارته وهيبته ، وأخــذ من الجبــل كل ثباته ورسوخه وصلابته .. وضربت الحيرة الفتى لوهلة ، فلم يدر ماذا يفعل أمام دموع الرجل ، ولكنه فجأة وجــد نفسه يخطف يده ، وينزل عليها بشفتيه ، طابعًا عليها قبلة طويلة كادت تخالطها دموعه ، لولا أن الرجل أسرع يختطفه فى حضــنه ، ويضــمه إلى صدره بكل هياج وجدانه وقد جرفه شعورًا عاتيًا بأنه يضم ابنه الراحل ،

وانسابت دموع (رقيــة) ، ووجدت نفسها ترفع وجهها إلى السماء داعية المولى (عز وجل) من صميم قلبها وبالدموع :

ـ يا رب !

أما (أميرة) فقد أسرعت تمسح دموعها ، وتنتشل نفسها من وطأة الموقف ، وتهتف فى والديها معاتبة :

ـ معلم (شحات) ! حاجة (رقية) ! وحِّدوا الله !

أسرع الوالدان يرددان فى نفس واحد :

ـ لا إله إلا الله .

وأردفت (أميرة) تخاطبهما معًا :

ـ نعم هكذا ، ثم إذا كان هذا الفتى عوضًا جميلاً عن أخى (عمرو) ، وهدية جميلة من ربنا سبحانه وتعالى ، فهل يُعقل أن نتلقى هديته بهذه الدموع والحزن ؟!

وجاءها الرد على الفور من (رقية) وهى تمسح دموعها :

ـ لا يا ضنايا .. لا .. أستغفر الله العظيم .. أستغفر الله ..

والتفتت الفتاة الرائعة إلى أبيها :

ـ وأنت يا بابا ؟

وجاءها رد أبيها سريعًا :

ــ أستغفر الله العظيم يا بنتى .

فعادت الابنة تخاطب أمها بابتسامتها الحلوة :

ــ إذن أسمعينا أحلى زغرودة يا ماما احتفالاً بهذه الهدية !

وإذا بزغرودة الحاجة (رقية) تنطلق مغردة ، وابتسم المعلم (شحات) فأشرقت ابتسامة (علاء) مضيئة وجهه ، ثم نظر إلى معلمه قائلاً بمنتهى الأدب :

ــ أنا تحت أمرك يا معلمى .

وإذا برد المعلم (شحات) على الفور بحزمه الحنون الجميل :

ــ لا يا ولد .. قل يا بابا ! انس « معلمى » هذه !

وكان رد (علاء) بابتسامته المزيّنة بالحياء :

ــ تحت أمرك يا بابا .

فعاد المعلم (شحات) يقول له بنفس الحزم :

ــ لا .. من الآن فصاعدًا أنت تحت أمر مديرتك .

والتفت إلى (أميرة) مردفًا :

ــ استلمى موظفك الجديد يا مديرتنا العبقرية .

وضرب الغموض (علاء) ، وراح ينقل بصره بين المعلم وابنته فى دهشة وتساؤل ، فما كان من (أميرة) إلاّ أنها ابتسمت قائلة له بحزم أيضًا :

ــ هيا يا باشا .. تفضل معى !

ووجــد الفتى نفســه يعاود النظر إلى معلمه مرة أخرى وقد ازدادت دهشته وحيرته ، فما كان من المعلم إلا أنه أجابه قائلاً بحزمه الحنون :

ــ هيا يا فتى .. هيا مع مديرتك .. هيا .

ولم يملك (علاء) إلاّ أن يستدير منصرفًا مع الفتاة الفاتنة وهو لا يكاد يشعر بنفسه من فرط غموض ما يحدث له ، بينما المعلم (شــحات) و(رقية) يشيعانهما بنظراتهما الباســمة المفعمة بالسعادة والتفاؤل .

★ ★ ★

الفصل الخامس

من بين أبراج « أغا خان » بحى المظلات ، ومن أسفل شقة المعلم (شحات) المطلة مباشرة على النيل انطلقت (أميرة) جنوبًا على طريق الكورنيش بسيارتها الـ « تويوتا لاند جروسر » الجيب الرمادية الداكنة الأحدث موديل ، وقد جلس إلى جوارها (علاء) يرنو إليها بطرف عينه من وهلة لأخرى .. فى ظاهره بدا ساكنًا رصينًا لا شىء يشغله بالمـرة ، بينما هو فى داخله تعصف به دهشته وانبهاره بمشهد الفتاة أمام « دريكسيون » السيارة ، وبطريقة قيادتها لسيارة بهذه الضخامة والإمكانيات والتكنولوچيا المتقدمة .. إنها تنطلق بها بجسارة وسلاسة مذهلة .. تسابق بها كل من تشاركها الطريق مـن سيارات ، وتمرق من بينها كالسهم الجامح وكأنها تلهو بعربة « باتيناچ » فى مدينة ملاهى ، وذلك رغم التصاق سماعة موبايلها بأذنها من لحظة أن فتحته وهى تتحرك بالسيارة من جراچ العمارة ، ومن أحاديثها فى الموبايل تضاعفت دهشته ، فقد كانت أحاديثها جميعًا تعليمات وتوجيهات وإشادة وتوبيخ لمحدثيها ، وأحاديث فى أرقام وكميات ومواعيد عمل وكأنها تدير شئون إمبراطورية عمل مترامية

الأطراف .. قفـز إلى ذاكرته ما قاله أبوها لها قبـل أن يغادرا الشـقة معًا : استلمى موظفك الجديد يا مديرتنا العبقرية .. عاد غموض الأمر يلفه بظُلمة أشد .. وجد نفسه يلتفت إليها بحيرته التى طغت علها تدركه بتفسير ، فإذا بها وقد فرغت من وصلة عملها التليفونى تبتسم له معتذرة :

ــ آسفة يا باشا .

وقبـل أن يجيبها بشىء كانت تردف بهتفـة خافتة ، متذكرة أمرًا ما :

ــ آه ...

ترددت قليلاً ، ثم أردفت بأدب جم :

ــ ممكن من فضلك تناولنى الحقيبة من ورائى ؟

ــ تحت أمرك .

وأتى لها بحقيبة رجال الأعمال الفاخرة التى كانت قد غادرت بها الشقة ، فأردفت :

ــ ممكن تفتحها ؟

فتحها ، فإذا بموبايله الرخيص المتهالك يعلو الأوراق .. التفت إليها بنظرة متسائلة ، فكان جوابها :

ـ خـــذه !

فعل ، وألقى عليه نظرة ، فإذا به مغلقًا .. هم بأن يفتحه ، فإذا بها تردف قائلة :

ـ خذ الموبايل الآخر !

نظر إلى علبة الموبايل الـــ « النوكيا » الأحدث طرازًا التى كان يجاورها موبايله ، ثم عـــاد يتطلع إلى الفتاة متسائلاً ، فكان جوابها :

ـ موبايلك الجديد .. ضع فيه خطك !

تردد ، فجاءه أمرها فى حزم :

ـ اسمع الكلام !

ابتسم ناقلاً خطه إلى الموبايل الجديد وفتحـــه ، وما كاد يفعل حتى انطلق رنينه ، فكانت دعابة (أميرة) :

ـ ما هذا ؟! هل كانوا يقفون بالباب ؟!

اتسعت ابتسامته ، ونظر فى الشاشة ، فإذا بعقله يكاد يطير منه ، وتنطلق صرخته الهيستيرية :

ـ إنها (سمر) !

وإذا بصراخه الهيستيرى فى الموبايل يتدافع سريعًا متلاحقًا بعصبية نارية تكاد تقارب الجنون :

ـ سمر .. سـمر .. حبيبتى .. أين أنــت ؟ ماذا حدث لك ؟ ماذا فعلوا بك ؟ ماذا فعلوا بكِ يا حبيبتى ؟ تكلمى .. طمأنينى عليكِ .. طمأنينى عليكِ يا (سمر) .. لا .. لا .. التليفون لا ينفع .. أريد أن أراك حالاً .. حالاً يا (سمر) .. لن أطمئن عليك إلاَّ إذا رأيتك بعينى .. أين أنت الآن ؟ فى البيت .. كيف لا تستطعين ؟ هل يحبسونك ؟

لا .. لن أصدقك .. لن أصدق أنك بخيــر حتى أراكِ بعينى .. إذن انتظرينى فى البلكون .. أنا قـــادم حالاً .. قلت لك أنا قادم حالاً .

وسارع بغلق الموبايل ، والتفــت إلى (أميرة) هاتفًا فيها بعصبيته الجنونية :

ــ أنزلينى هنا من فضلك يا آنسة (أميرة) !

وفوجئت (أميرة) التى كانت قد أفزعتها حالته ، وأسرعت تسأله بفزعها :

ــ ماذا تقول ؟!

ــ قلت لحضرتك أنزلينى هنا !

ــ اهدأ ! اهدأ ! (سمر) بخير .

ــ قلت لحضرتك : أنزلينى !

ــ وأنا قلت لك : اهدأ .

وإذا بالفتى يهم بفتح باب السيارة وهى منطلقة بسرعة تقارب المائة كيلومتر ، لتنطلق صرخة (أميرة) بمنتهى الفزع :

ــ ماذا تفعل يا مجنون ؟!

وإذا به يفتح الباب فعلاً ، فما كان من الفتاة إلا أنها أسرعت تصرخ فيه :

ــ حاضر .. حاضر .. سآخذك إليها .. أغلق الباب .. أغلقه !

وأغلق الفتى الباب محدقًا بها فى ارتياب ، ولكنها كانت قد استدارت بالسيارة بالفعـل ، وانطلقت عائدة مــن أسفل كوبرى الساحل ، بينما الفتى إلى جوارها تفترسه لهفته الجنونية ، وتكاد تقضى على ما تبقى من عقله .. نصف ساعة وكانت (أميرة) تدخل بالسيارة الشارع الذى تقطنه (سمر) بعزبة (شلبى) ، و(علاء) يلمح حبيبته واقفة فى البلكونة .. جن جنونه .. أسرع يلوّح لها من نافذة السيارة بكلتا يديه بهيستيرية ، وقلبه يكاد ينخلع من بين ضـلوعه ، وإذا به يفتح باب السيارة قبـل أن تتوقف ، ويقفز منها ، لتنطلق صرخة (أميرة) بمنتهى الفزع :

ــ يا مجنون !

ولكنه كان قد ابتعد عنها ، منطلقًا صوب منزل حبيبته فى نهاية الشارع ، وهو يهتف بها فى الموبايل فى خفوت هيستيرى ، وعيناه عليها فى البلكون تكادا تقفزان من محجريهما من بطش جنونه :

ــ معقــول يا (سمر) ؟! معقــول يا حبيبتى ؟! معقول أنت بخير ؟! طمأنينى عليكِ .. هيا طمأنينى عليك بأية حركة .. أية حركة يا (سمر) .. أية حركة ولو ابتسامة .. نعم يا حبيبتى

ابتسمى .. لا .. لا .. اضحكى .. اضحكى بصوت عالٍ .. اضحكى ضحكتك إياها .. اضحكيها .. هيا يا (سمر) .. هيا يا حبيبة قلبى .. هيا قبل أن يتوقف قلبى من قلقى عليكِ ، وأموت هنا أمام عينيكِ .. هيا اضحكيها يا (سمر) .. هيا يا حبيبة قلبى .. يا نور عيونى .. يا سر وجودى .. يا بهجـــة حياتى .. نعــم هكذا اضحكيها .. اضحكيها أكثر وأكثر وأكثر ..

وراحت ضحكة الفتاة تعلو وتعلو وتعلو .. بالدمــوع فى الموبايل كى تهدئ مــن روع حبيبها الذى لم يكن قد انتبه إلى وصوله إلى أسفل البلكون ، ونزوله على ركبتيه فوق الأرض الترابية ، دون أن يتوقــف عن هتافه الهيستيرى فى الموبايل ، ودون أن ينزل عينيه عن حبيبته ، ودون أن تتوقف دموعه ، ودون أن ينتبه إلى تجمهر المارة من حوله ، حتى اضطرت (أميرة) التى كانت قد لحقت به بالسيارة لأن تجثو على ركبتيها أمامه ، متوسلة إليه بالدموع أن ينهض معهـــا لينصرفا حتى لا يتسبب فى كارثة أخرى له ولحبيبتـــه ، إذا ما شـــاهده شقيقها (ناصر) هكذا ، أو علم بهذا الذى يفعله .. هنا فقط انتبه الفتى المنهار لنفسه ، وترك (أميرة) تسحب الموبايل من

يده ، ونهض معها إلى السيارة ، لينصرف وعيناه على حبيبته حتى غادرا الشارع .

★ ★ ★

واحتاجت (أميرة) لأكثر من ساعة كى ترد (علاء) إلى حالته الطبيعيـــة .. جلست به على حافة ميـــاه النيــل مباشرة بكازينو الـــ « هابى لاند » ، وشرعت تسترد هى نفسها أولاً من هلعها وبهوتها من المشهد الأفلاطونى الجنونى الكارثى الذى لو شاهدته على شاشة سينما لسخرت منه وضحكت منه ملء شدقيها باعتباره مشهدًا هزليًا يستحيل رؤيته على أرض الواقع ، وخاصة فى زمننا هذا ، ولكن ها هى قد شاهدته بأم عينيها واقعًا حيًا نابضًا أدمى القلوب ، بل إنها شاركت فيه ، وكادت تنال نصيبها من كارثيته التى كادت توشك الوقوع لولا ستر الله .. معقول هذا ؟! معقول أنه ما زال يوجد على الأرض مثل هذا الحب ؟! معقول أنه ما زال هناك قلوب آدمية قادرة على إفراز مثل هذا الحب ؟! معقول أنه ما زال هناك بشر تعرف تحب بهذه الطريقة وإلى هـــذا الحد ؟! إلى الحد الذى يجعل شابًا بمثل هذه الشخصية والكبرياء وعزة النفس ينهار على ركبتيـــه باكيًا ، ويمرغ نفسه فى التراب على

مرأى ومسمع من الناس لمجرد قلقه على حبيبته وإحساسه بالذنب نحوها ؟! معقول ما زال يوجد هذا الصنف من البشر ؟!

معقول ؟!

معقول ؟!

ولدقائق طويلة ظلت عينا (أميرة) تزحفان على وجه (علاء) بهدير دهشتها وتساؤلاتها ، ولم يفيقها منها إلاّ حضور الجرسون بعصير الليمون الذى كانت قد طلبته فور جلوسهما ، وبمجرد انصرافه وجـدت نفسها تبـدأ فى إفاقة الفتى الذاهـل ، والتى استغرقت منها أكثر مـن سـاعة ، حتى ردته إلى كامل وعيه بعدما ذكرته بأنها ساعدته فى الاطمئنان على حبيبته ، وبالتالى فإنه عليه أن يساعدها فى اللحاق بعملها الذى تسبب فى تعطيلها عنه كل هذا الوقت ، فلم يملك إلا الاعتذار لها بمنتهى الخجل ، والنهوض معها بعدما تناولا عصيرها على عجل ..

وعادت (أميرة) تنطلق بسيارتها ، بينما (علاء) إلى جوارها غارسًا نظراته المطفأة الواجمة فى صفحة ميـاه النيل المتلألئة بضياء شمس الظهيرة الذهبى ، حتى سمع رنين موبايل (أميرة) ، وسمعها تعـاود وصلة عملها التليفونى ، ليجد نفسه يلتفت إليها

وقد ارتد إليه الغموض الذى كان يلفه بشأنها ، وليتحرك تساؤله فى نفسه : ما حكايتك يا بنت المعلم (شحات) ؟! وإلى أين أنت منطلقة بى ؟!

أقل من ساعة وكانت بنت المعلم (شحات) تتوقف به أمام برج سكنى شديد الفخامة يطـل مباشرة على نيـل « المعادى » والفتاة تغـادر به السيارة إلى مصعد البرج ، لتدخل به شركة بالطابق العاشر ، عُلقت إلى جوار بابها لوحة فخيمة ، مدونًا عليها بحروف نحاسية بارزة لامعة :

« شركة الأميرة لتجارة المواد البترولية »

وما إن دلفت الفتاة به من باب الشركة ، حتى فوجئ بساعى شاب يسارع بأخذ حقيبة أوراقها منها ، بينما سارعت موظفتان شابتان حسناوتان وزميـل لهما وسيم بالانتفاض وقوفًا خلف مكاتبهم بالرسبشن وهم يردون تحيتها التى ألقتها عليهم بجدية ، ودون أن تتوقف ، فقد انقلبت إلى شخصية أخرى تمامًا وهى تدخل عليهم ، شخصية جادة مهابة شديدة الثقة فى النفس ، حتى بدت وكأن عمرها ازداد عشرين عامًا فى غمضة عين .. وبخطاها الواثقة المفعمة بالحيوية مضت به فى كوريدور طويل

مفروشًا بشريط من السجاد الأحمـر الفـاخر ، وتصطف على جانبيه مجموعة غرف مكاتب شيك مشغولة بموظفيها المنهمكين فى أعمالهم خلف مكاتبهم ، وينتهى بمكتب مثبت إلى جوار بابه لوحة « المدير العام » ، سارع الساعى الشاب بفتحه ، فخطت بداخله خطوتين ، ثم توقفت مشيرة وقائلة لـــ (علاء) بابتسامة ودودة واحترام واضح :

ــ تفضل يا باشا !

دخـــل ، فإذا به فى مكتب يليق برئيس جمهورية ، لا بمدير عام ، ولا يمكن أن تقل تكلفة ديكوره وأثاثه عن مئات الآلاف من الجنيهات .. تسمر فى مكانه مشدوهًا وهو يدير عينيــه فى أنحـاء الغرفة الضخمة ، وعلى كل ما فيها ، حتى سمعها تدعوه إلى الجلوس وهى تقف خلف مكتبها المهيب الرائع مبتسـمة لدهشـته ، فجلس أمامهـا حيـث أشارت ، وجلست هى بمقعدها العالى الظهر ، ثم سألته عما يشرب فكان رده بأدب جـم :

ــ شكرا يا افندم .. لا داعى للتعب .

اتسعت ابتسامتها :

ــ لست أنا التى سأعده ، بل (فوزى) .

وأشارت إلى الساعى الشاب الواقف أمامها ، فابتسم مجيبًا :

ــ شـــاى .

فالتفتت هى إلى الساعى قائلة :

ــ شاى لسيادته يا (فوزى) ، وأدركنى بقهوتى بسرعة .

ــ حالاً يا افندم .

وسارع الساعى بالانصراف ، فرفعت سماعة تليفون الشركة الداخلى ، وطلبت رقمًا ، قائلة للطرف الآخر :

ــ (شيرين) من فضلك أحضرى لى ملف (ماجد عبد ربه) .

ثم طلبت رقمًا آخر ، قائلة لصاحبه !

ــ أستاذ (عزت) ! تعال من فضلك !

وأعادت السماعة إلى مكانها ، ودخلت (شيرين) بالملف ، ووضعته أمامها قائلة :

ــ تفضلى يا افندم .



ودخل شاب ثلاثينى العمر ، آية فى الوسامة والأناقة .. بادرها قائلاً بمنتهى الأدب :

ـ حمدًا لله على السلامة يا افندم .

لم تجبــه ، ولم ترفع وجهها إليــه ، وظلت تُقلّب صفحات الملــف بجهــامة ، ثم رفعــت وجهــهــا نحــو سكرتيرتها قائلة بجهامتها :

ـ تفضلى أنت يا (شيرين) .

ـ حاضر يا افندم .

وانصرفت السكرتيرة ، بينما دخــل الساعى .. وضع القهوة أمام (أميرة) ، والشاى أمام (علاء) ، ثم وقف أمام (أميرة) يسألها :

ـ أوامر أخرى يا افندم .

ـ شكرًا يا (فوزى) .

وانصرف الســاعى ، فالتفتت هى إلى الشـــاب الوسيم تسأله بغضب مكبوت :

ـ أستاذ (عزت) .. لماذا توقفت عن صرف شهرية (ماجد عبد ربه) ؟

وكان رد (عزت) بنبرة نفاق :

ـ لأننى يا افندم علمت أنه أفتتح كشك سجائر وحلويات بجوار منزله ، ويكسب منه .

ـ علمت بذلك فقمت سيادتك بقطع الشهرية عنه !! هكذا من تلقاء نفسك !! ودون أن تعود إلىّ أو حتى تأخذ برأيى !!

فوجئ (عزت) ، وضربه الارتباك :

ـ يا افندم أنا فعلت ما فيه صالح الشركة .

انتفضت واقفة وقد استشاطت غضبًا :

ـ صالح الشركة ؟! وهل سيادتك تعرف صالح الشركة أكثر منى ؟!

ازداد تلعثمًا :

ـ العفو يا افندم .. أنا ...

أسرعت تقاطعه بغضب مريع :

ـ أنت ؟! أنت ماذا ؟!

وخرجت إليه من خلف مكتبها مردفة بغضب معجونًا بالقرف :

ـ اسمع يا أستاذ ! (ماجد عبد ربه) هــذا وقع عليه فنطاس سولار ممتلئا وزنه يزيد على النصف طن فى أحد مستودعاتنا .. أى أنه أصيب بالعجز عندنا أثناء عمله .. وقبل أن يعجز ، وقبل أن تشرفنا سيادتك عمــل لدينا لأكثر من سبع سنوات بمنتهى التفانى والأمانة والإخلاص ، فهــل من الإنسانية والرحمة أن نتخلى عنه الآن ؟! ثم إنك عنــدما علمت بحكاية الكشك الذى افتتحه نسيت أن فى رقبته أربعة أطفال وأمهم ؟ فهل سيكفى كشــك سـجائر وحلــوى مفتوحًا فى حارة لإعاشة ستة أفراد ؟! يا أخى .. يا أخى شىء من الإنسانية والرحمة لن يضر فى شىء .

وعادت تجلس فى مقعدها ، وكتبت ورقــة ما وضمتها إلى أوراق الملف ، ثم ناولت الملف كله إلى (عزت) مردفة بمنتهى الصرامة والحزم :

ـ تفضل اصرف له شهريته المتأخرة فورًا ، بل وزدها من 750 إلى 1000 جنيه ، وإياك .. إياك تتأخر فى صرفها شهرًا ما .. مفهوم ؟

ولم يملك الوسيم الغبى إلا أن يجيبها ، ورأسه منكسًا من شدة الخزى :

ـ مفهوم يا افندم .

واستدار منصرفًا بخزيه ، بينمــا الفتاة تُشيعه بنظرة قرف وامتعاض حتى أغلق باب الغرفة خلفه ، فالتفتت إلى (علاء) بمرارة وكأنـها تستشهده على غباء هذا الصنف من البشر .. إذا به يحدّق فيها بدهشة تكاد تعصف بعقله ، فلم تملك إلا أن تعتذر له باحترام واجم :

ـ أنا آسفة .

لم يجبها ببنت شفة ، وظل على تحديقه الذاهل فيها بطريقة أرغمتها على الابتسام ، وجعلتها تهتف به وهى تلوّح بيدها أمام عينيه الشاخصتين على وجهها :

ـ باشا ! ماذ بك ؟!



نطق بدهشته العاصفة :

ـ بى ذهول !

ـ ذهول ؟! ذهول مم ؟!

ـ مما رأيته وسمعته توًا .. ممكن أشعل سيجارة ؟

ـ تفضل .

أشعل سيجارة بعصبية واضحة ، وأخذ منها نفسًا خاطفًا ، ثم نظر إليها قائلاً بمنتهى الأدب :

ـ منذ أن أسعدنى النصيب بمعرفة حضراتكم ، وبالتحديد منذ عرفت المعلم (شحات) والمفاجآت والصدمات تتقاذفنى كأمواج بحر هائج ، ولكن ما رأيته بعينى الآن ، وسمعته بأذنى أكبر وأغرب من كل هذه المفاجآت والصدمات .

ـ وما الغريب فيما رأيت ؟!

ـ الغريب هو مقام سيادتك ، وجبروت شخصيتك .

ـ آه .. فهمت .. تقصد صغر سنى على هذا .

ـ بالضبط .

لاحت على شفتيها ابتسامة رصينة ، رفعت معها فنجان قهوتها نحو شفتيها وهى تقول له :

ـ اشرب شايك !

وأخذت رشفة من قهوتها ، وانتظرته حتى ارتشف شايه ، ثم شرعت تفسر له الأمر بنفس رصانة وطيبة أبيها :

ـ هذه الشركة يا باشا شركة بابا المعلم (شحات) ، وأنا أديرها ، وقيامى بإدارتها لم يأت من فراغ ، فأنا أحمل بكالوريوس تجارة قسم إدارة أعمال منــذ سنتين ، فعمــرى الآن 25 عامًا ، ولكن ليس هذا هو السبب الرئيسى فى إدارتى للشركة بنجاح .. السبب الرئيسى فى إدارتى لها بهذا النجاح هو أننى كنت أعمل مع بابا فى تجارة السولار منــذ أكثر من 15 سنة ، ومنــذ أن كان بابا يسرح بعربة سولار يدوية يجرها حمار ، وكان نشاط بابا هو تجميع عبوة هذه العربة من ناقلات منتجات البترول كما كنت تفعل أنت ، ثم قيامه ببيع ما جمعه للمصانع والمخابز وغيرها من المنشآت التى تعمل بالسولار ، وكان من عادته أن يعود إلى البيت عصر كل يوم ـ وكان بيتنا وقتئذ عبارة عن حجرة واحدة طينية بحمام مشترك فى بيت عشوائى فى حى « المرج » ـ

ليتناول غداءه معنا أنا وأمى وأخى الأكبر (عصام) وأخى (عمرو) رحمه الله ، ثم يخرج مرة أخرى بالعربة ليواصل عمله ، فكنت أتشبث به ، وأخرج معه بعد أن أكون قد عدت من المدرسة ، وهناك على الطريق كنت أجلس معه بجوار العربة ، أعمل معه وأستذكر دروسى ، فكان يفرح بى ، ويعطينى أجرًا على ذلك تشجيعًا لى .. ومن هنا أحببت هذا العمل ، وكبرت فيه مع بابا ، مـــن عربـــة السولار التى يجرها حمار حتى صرنا أصحاب واحـــدة من أكبـــر شركات تجارة منتجات البترول فى « مصر » كلها .

وتأملته هنيهة بتبسُم ، ثم إذا بها تقدم له دفترًا صغيرًا ، قائلة له :

ـ تسمح توقع هنا .

تناول الدفتر منها ، متسائلاً بأدب :

ـ ما هذا يا افندم ؟

ـ إيصالات أمانة .

فوجئ ، وداهمه التوتر ، فأسرعت تسأله بابتسامتها الرقيقة :

ـ هل يضايقك هذا ؟ هذا متبع مع كل موظفى الشركة ، ومع ذلك إن كان يضايقك لا توقع .

أسرع يجيبها بابتسامة تدارى توتره :

ـ لا يا افندم .. أنا تحت أمرك .. أنا كلى ملككما أنت والمعلم (شحات) .

ووقع لها الدفتـــر كاملاً ، وأعاده لها ، فإذا بها تناوله شريحة موبايل جديدة ، قائلة له :

ـ ضع هذه الشريحة فى موبايلك الجديد واحتفظ بشريحتك الخاصة فى حافظتك طالما كنت فى العمل .

وكان رده مداعبًا بتبسُم :

ـ فى العمل أو غير العمل .. أنا تحت أمر حضرتك .

ولم تملك الفتاة أن تمنع نفسها من الابتسام للكنته الصعيدية وهو ينطق بكلمة (حضرتك) .



* * *

الفصل السادس

فرحة عارمة اجتاحت (أميرة) ، وسطعت فى وجهها وهى تهتف فى موبايلها :

ــ حالاً يا باشا .. حالاً .. نعم فى نفس المكان .. إن شاء الله .. إن شاء الله .. شكرًا يا باشا .. مع السلامة ..

وأغلقت الموبايل ، وألقت به أمامها على المكتب ، وأسرعت تطلب رقمًا على التليفــون الأرضى وهى تقــول لــ (علاء) الجالس أمامها :

ــ قدمك قدم خير يا قمر .

وأردفت مخاطبة الطــرف الآخــر على التليفون بلهجة آمرة ممزوجة بسعادتها :

ــ خميس .. فــورًا أطلق خمسة لوريات بمقطوراتها إلى مزرعة (أبو سلطان) .. فورًا يا (خميس) .. فورًا .

وأعادت سماعة التليفــون إلى مكانها ، وهبّت واقفة مردفة لــ (علاء) :

ــ هيا يا باشا .

وفى لحظــات كانت تنطلق بسيارتها الجيــب صــوب طريق « القاهرة / الإسماعيلية » الزراعى ، و(عــلاء) إلى جوارها يكاد قلبه يسقط فى قدميه من جنون سرعتها وطريقة مروقها من بين السيارات ، حتى استوت على الطريق الزراعى ، فإذا بسرعتها تزداد جنونًا ، حتى كاد يصرخ فيها بأن تتوقف وتنزله ، فإذا بها تهدئ مــن سرعتها ، فقــد لاح لها كمين البوليس الذى يقطع الطريق ..

أسرع يتنفس الصعداء ، بينما أسرعت هى تداعبه بخفة ظل :

ــ أظنك الآن تدعو علىّ .

وكان رده بابتسامة تدارى غيظه :

ــ العفو يا افندم .

وأخرج علبة سجائره ، وأشــعل سيجارة ، بينما راحت هى تنتحى جانب الطريق ، ثم إذا بها تتوقف تمامًا قبل الكمين بمائتى متر تقريبًا .. التفت إليها مندهشًا ، فكان ردها ابتسامة هادئة وهى تسلط عينيها على المرآة العريضة العالقة أمامها ، وظلت

هكذا لما يقارب نصف الساعة ، ثم إذا بها تدير محرك السيارة مرة أخرى ، وتقترب بها مــن الكمين حتى بلغتــه ، فإذا بضابط المباحث الشاب قائد الكمين يهرع إليهــا ، يسبقه ترحابه فى حميمية وسعادة :

ــ أهلاً أهلاً بأجمل مديرة فى بر « مصر » كله .

وانحنى مستندًا بمرفقيه على نافذتها مردفًا بسعادته :

ــ إزيك يا سيادة المديرة ؟

وكان رد (أميرة) بابتسامة مفعمة بالبهجة :

ــ الله يسلمك يا (وليد) باشا .

ونظر الضابط إلى (علاء) محييًا بتبسُّم واحترام :

ــ مساء الخير يا افندم :

وجاءه رد (علاء) رصينًا باسمًا :

ــ مساء الفل يا باشا .

وعاد الضابط يخاطب (أميرة) معاتبًا :

ــ يعنى يا سيادة المديرة إن لم تكن لقاءات العمل لا نسعد برؤياك ؟! أو حتى بسماع صوتك ؟!

وجاءه رد (أميرة) سريعًا :

ــ لا يا باشا .. دعك من طريقة « خذوهم بالصوت ..... » ، فأولاً أنا تركت لك السلام هنا مرتين ، مرة مع (خالد) باشا ، ومرة مع (شريف) باشا .. ثانيًا اتصلت بسيادتك أربع مرات على الموبايل ، وكان الرد فى ثلاث منها مغلق ، وفى الرابعة ردت علىّ المدام ، وأخبرتنى بأنك نائم ، فتركت لك السلام معها .. ثالثًا وأخيرًا لم يعد باقيًا على زيارة سيادتك الشهرية لنا فى الشركة سوى ثلاثة أيام ، ووقتها كنا سنتحاسب ، ونعرف من منا المقصر فى حق الآخر .

ولم يملك الضابط الشاب إلا أن يسارع بالهتاف :

ــ لا يا سيادة المديرة .. لا .. أنا معترف من الآن بأنى المقصر ، وخاصة بعد المرافعة البليغة هذه .. أنا معترف ومعتذر .. معتذر بطول هذا الطريق .... وعرضه أيضًا لو يكفيك .



وجاءه الرد مع ضحكة إطراء :

ــ يكفينى طبعًا يا چنتل .

وألقت نظرة على المرآة العالقة أمامها ، فإذا بطابور من السيارات ممتدًا لعشرات الأمتار متوقفًا خلفها ، ويتقدمه لواريها الخمس ، أسرعت تردف للضابط بدهشة :

ــ كالعادة نسينا أنفسنا ، وعطلنا الطريق .

وكان رده مبتسمًا :

ــ بل أنا الذى عطلت سيادة المديرة الجميلة وأسطولها .. الداخلية تعتذر .

ــ العفو يا سيادة النقيب الوسيم ، من سيستلم من سيادتك ؟

ــ الرائد (خالد) .

ــ سلامى له حتى أقابله فى العودة .

ــ الله يسلمك .. تفضلى .. مع ألف سلامة .

وتحركت (أميرة) بسيارتها ، بينما ظل الضابط الشاب واقفًا فى مكانه كى يمرر لواريها الخمسة بنفســـه ، أما (علاء) فقد وجد نفسه يتأمل (أميرة) بدهشة طاغية وتساؤل ، فمـــا كان

منها إلا أنها ابتسمت مشفقة عليه ، ثم شرعت تفسر له الأمر بمنتهى الرصانة :

ــ ضباط هذا الكمين ، وعــدد آخر من ضباط كمائن الطرق السريعة ، فضلاً عن مجموعة أخرى من ضباط الداخلية جميعهم لهم رواتب شهرية من الشركة .

فوجئ إلى حد الذهول :

ــ ماذا ؟! رواتب شهرية ؟!

ــ نعــم .

ــ لكل هؤلاء ؟!

ــ نعــم .

ــ لماذا ؟!

ــ حتى يسهلوا حركة ناقلاتنا التى لا تكف عــن الجــرى فى كافة أنحاء « مصر » .

وألقت نظرة فى المرآة على أسطولها الذى يتبعها ، ثم أردفت برصانتها :

أو بمعنى أدق حتى لا يعطلوها .

ـ ولماذا يعطلوها ؟! هل السيارات أوراقهـــا غيـــر ســـليمة أو تحمل شيئًا ممنوعًا ؟

ـ لا هذا ولا ذاك ، ولكنك تعرف حكومتنا .. هوايتها المفضلة تعطيل المراكب السائرة .

ـ إلى هذا الحد ؟!

ابتسمت مرة أخرى مشفقة عليه من دهشته ، وراحت تفسح الطريق للناقـــلات وهى تشير لهـــا بأن تتقدمها ، وتزيد من سرعتها ، ووجد (علاء) نفسه يتأمل الناقلات وقد كُتب عليها جميعًا بخطوط ضخمة « شركة الأميرة لمنتجات البترول » .. قفزت دهشته إلى ذروتها ، وانتفض بداخله تساؤل لا يقل فى ضخامته عن دهشته .. شركة تمتلك هـــذا العـــدد من الناقلات العملاقة ، والذى ربما كان مجرد جزء من أسطول كبير ، وتدفع رواتب شهرية لمثل هذا العدد من ضباط الحكومة ، ماذا يكون حجمها ؟! ومن أين لها بالمكاسب التى تجعلها بهذا السخاء الذى لا تستطيعه أية شركة أخــرى مهما بلغ حجمها ؟! ثم إن هذا

ما اكتشفه فى وقت لا يُذكر .. اكتشف أن أدوات المعلم (شحات) فى ممارسة تجارته ليست مجرد هذه العربات اليدوية التى تقف على الطريق ، ومخزن السولار الذى يشبه أسطبل الحمير ، فى حى عشوائى ، بل وراء ذلك شركة بكل هذه الفخامة والضخامة والجبروت .. اكتشف ذلك فى بضعة أيام ، فعم ستكتشف له الشـــهور والســـنين إذا ما قُدر له البقـــاء مع المعلم وابنته ؟!

مرة أخرى وجد نفسه يعاود تأمل (أميرة) وقد تحول كيانه كله إلى علامة استفهام ضخمة انتصبت مصلوبة فى خاطره وفى عينيه وعلى وجهه ، ولكنه حين لم يجد منها أى رد فعل يفك الطلاسم التى تلفه راح يرسل نظراته أمامه على الطريق بشىء من التلهف على معرفة وجهتهما ، والغرض من رحلتهما ، ولم تطل لهفته ، ففى أقل من ساعة كانت الناقلات الخمس تتقدمها (أميرة) بسيارتها تدخل مزرعة برتقال ضخمة تتوسط مدينة (أبو سلطان) بالضفة الغربية لـــ « قناة السويس » ، ولتجد (أميرة) فى استقبالها رجلاً أنيقًا وقـــور خمسينى العمر ، ومن خلفه تقف خمس ناقلات مواد بترولية عملاقة بنفس حجم ناقلات (أميرة) ، ولكنها لا تحمل أية علامة ، أو اسم شركة .. استقبل

الرجل (أميرة) بترحاب حميم واحترام بالغ ، ثم التفت إلى (علاء) مرحبًا بابتسامة مهذبة ، عاد بعدها يتطلع إلى (أميرة) بنظرة تساؤل وقلق ، فأسرعت تطمئنه بأنه نائبها ، فما كان من الرجل إلا أنه عاد يرحب به بمنتهى الحرارة والاحترام ، ثم عاد يسأل (أميرة) فى أدب :

ـ الأمانة جاهزة ؟

ـ طبعًا .

واستدارت ساحبة حقيبة نقود من سيارتها ، وناولتها له .. فتحها وألقى عليها نظرة وأعـــاد غلقها ، ثم التفت إلى رجاله الواقفين إلى جوار ناقلاته ، مشيرًا لهم ببدء عملهم ، فانطلقوا على الفور يفرغون ناقلاته فى ناقلات (أميرة) بواسطة خراطيم ضخمة ، بينما التفت الرجل إلى (أميرة) قائلاً بابتسامة رقيقة مثل نبرته :

ـ هذه المرة البنزين فوق الممتاز يا آنسة (أميرة) .. يكاد يكون فى نقاء المياه المعدنية .

وكان رد (أميرة) بسعادة رصينة :

ـ هكذا يكون الشغل يا أستاذ (عثمان) !!

والتفتت بسعادتها إلى (علاء) ، فإذا بعينيه متسمرتين على الناقلات بمنتهى الانفعـــال ، فقـــد انتفضت كل حواسه مستشعرة أمرًا غير طبيعى بالمرة ، وانطلقت تساؤلاته بداخله كأعيرة نارية متلاحقة .

بنزين وليس سولارًا ؟!

وبهذه الطريقة ؟!

داخل مزرعـــة ؟!

فى الخفـــاء ؟!

★ ★ ★



الفصل السابع

أمام ڤيللا شبه مهجورة تبعد أمتار قليلة عن محطة مترو أنفاق الزيتون توقّفت (أميــرة) بسيارتها مطالبة (علاء) باصطحابها .. مضت به إلى داخل الڤيللا عبــر حديقتها الكبيرة المهملة ، ليجد المعلم (شحات) فى انتظارهما بصدر الريسبشن الضخم العتيق ، وقــد أضــاءت وجهه ابتسامة عريضة مفعمة بالسعادة وهو يرحب بهما :

ـــ حمدًا لله على السلامة .

وكان رد (أميرة) بمنتهى السعادة وهى تهرع إليه ، ملقية بنفسها فى حضنه :

ـــ الله يسلمك يا ملك المعلمين .

أما (علاء) فقد توقف فى مدخل الريسبشن مجيبًا فى حياء :

ـــ الله يسلمك يا معلم .

وإذا بالمعلم يقلده فى استهزاء باسم :

ـــ الله يسلمك يا معلم !!

ثم إذا به يهتف فيه بحدة باسمة :

ـــ ما هــذا البــرود يا ولد ؟! هل كنت نائمًا فى حضنك ؟! وما بالك تقــف بعيــدًا هكذا ؟! تحــرك يا بارد ! تعال هنا فى حضنى بسرعة .. هيا !

ولم يدر (علاء) بنفسه إلا وهو ينطلق كالسهم ، مرتميًا فى حضن المعلم ، ومرددًا من قلبه :

ـــ وحشتنى يا معلم .. وحشتنى جدًّا جدًّا يا سيد المعلمين .

ـــ وأنت أيضًا يا ولد .

والتفت المعلم إلى (أميرة) متسائلاً :

ـــ ها .. ما الأخبار يا سيادة المديرة ؟

ـــ فل الفل يا ملك المعلمين .

ـــ الحمد لله .

والتفت إلى (علاء) مردفًا :

ــ اسمع يا سيادة نائب المديرة .. هذه الڤيللا اشتريتها العام الماضى لأهدمها وأبنى مكانها برجًا سكنيًّا ، ولكنى لن أبدأ فى ذلك قبل سنتين على الأقل ، ومن هنا طرأت لى فكرة أن تقيم أنت فيها هذه الفترة مؤقتًا ، فما رأى جنابك ؟

برقت عينا (علاء) بوميض الذهول ، وانفلتت منه هتفته الذاهلة :

ــ هـــا !!!

ابتسم المعلم ، والتفت إلى (أميرة) متبادلاً معها نظرة باسمة ، ثم عاد يسأله :

ــ ما رأيك يا سيادة نائب المديرة ؟

وكان رد الفتى بجـــم ذهوله وهو ينقل نظراته المشدوهة بين المعلم وابنته :

ــ رأيى ؟! رأيى فى ماذا يا معلم ؟! ڤيللا ؟! أنا أسكن فى ڤيللا ؟! ڤيللا ؟!

وبدا وكأن عقله سيطير منه ، فما كان من (أميرة) إلا أنها سألته وهى مشفقة عليه من دهشته التى تفترسه :

ــ وماذا فى هذا يا عمنا ؟ هل أصحاب الڤيللات أحسن منك ؟

وكان رد الفتى بدهشته التى لم تهدأ :

ــ ليست مسألة أحسن أو أسوأ يا ست الكل .

ــ مسألة ماذا إذن ؟

ــ مسألة أن الڤيللات لها ناسها .

ــ كلنا أولاد تسعة يا عمنا .

وتدخل المعلم :

ــ يا سيادة نائب المديرة دعك من هذه الثرثرة وأجبنى .. هل تصلح لإقامتك فيها مؤقتًا ؟

وجاءه رد الفتى سريعًا وهو يكاد يطير من السعادة :

ــ طبعًا تصلح يا سيد المعلمين .. تصلح وألف تصلح .

ــ الحمد لله ..



واستطرد المعلم قائلاً وهو يجيل بصره على أثاث الريسبشن العتيق :

ـ إنهـا كمـا ترى أثاثها قديم ولكنـه متماسك ، وبالنسبة لغرفـة النـوم سأجدد لك ما يلـزم مـن الفراش ، ولديك كما ترى التليفزيون والدش والكمبيوتر ، ومطبخك كامل ، ولديك حمامان نظيفان وسباكتهما مضبوطة ، أما من ناحية التسوق فإن كـافة أنـواع المحـلات التى تحتاج إليها ومعها سوق الخضار أيضًا على بُعد أمتار من هنا ، وإذا ما حدث أن اكتشفت أنه ينقصـك شىء لا تسـتطيع تدبيـره ، فإن كل ما عليك هو أن تخبر به سيادة المديرة وهى سوف تتصرف .. مفهوم ؟

وسـكت المعلم متطلعًا إلى الفتى بنظرة حانية ، فإذا بدموع الفتى تنساب من عينيـه وهو يتطلع إلى المعلم بنظرة تهدر بمشاعر كثيرة هائجة ، عجـز لسانه عن تسميتها أو وصفها ، ولكن المعلم بفطنته التقطها ، فما كان منه إلا أنه ابتسم مربتًا على الفتى بمنتهى الحنو ، وقائلاً بكل ما فى قلبه من أبوة :

ـ امسح دموعك هذه يا سيادة نائب المديرة ، وهيا عش حياتك !

خذ مفاتيحك !

وناوله المعلم مفاتيح الڤيللا ، ثم التفت إلى (أميرة) قائلاً :

ـ هيا بنا يا سيادة المديرة .

التفتت (أميرة) إلى (علاء) قائلة :

ـ سأمر عليـك فى العاشرة صباح الغـد يا نائبى العزيز .. تصبح على خير .

أجابها مبتسمًا وهو يمسح دموعه :

ـ وأنتِ من أهله يا افندم .. مع السلامة .

وهم المعلم بأن ينصرف بابنته ، ولكنه تذكر شيئًا ما ، فتوقف مرة أخرى قائلاً لـ (علاء) :

ـ إذا كانت لك أشياء ذات أهمية فى الغرفة التى كنت تسكنها اذهب وأحضرها غدًا ، وإذا كان عليك إيجار متأخر سدده بالمرة .

ـ أمرك يا معلم .

وإذا بـ (أميرة) تسأل أبيها :

ـ هل معك نقود يا معلم ؟

ــ كم تريدين ؟

ــ ألفـــــان .

أخرج المعلم من جيب صديره رزمة نقود ضخمة من فئة المائتى جنيه ، ناولها منها الألفى جنيه ، فناولتها لــ (علاء) قائلة :

تفضل يا باشا .

فوجئ (علاء) :

ــ ما هذا يا افندم ؟!

ــ بدل سفر وعمولتك من صفقة اليوم .

ــ أية صفقة ؟!

ــ صفقة البنزين التى حضرتها معى فى (أبو سلطان) .. سلام .

واستدارت منصرفة مع أبيها تاركة الفتى مبهوتًا فى مكانه !!!

★ ★ ★

انتفضت أم (يوسف) واقفة ومرددة بارتباك وهى تندفع نحو الشاب الوجيه المهيب ببذلته الفاخرة ونظارته السوداء الضخمة :

ــ أهلاً أهلاً .. أهلاً وسهلاً يا باشا ..

تفضل سيادتك .. تفضل ..

وجاءها رد الشاب بوقار ورصانة وهو يقف مكانه بباب الشقة :

ــ ازيك يا حاجة ؟

ــ الله يسلمك يا باشا .. تفضل .

ــ اتفضل هكذا دون أن تعرفينى ؟

وكان ردها وهى تقف أمامه فى تهيُب :

ــ لا مؤاخذة يا باشا .. مقامك يمنعنى من سؤالك .

رفع نظارته عن عينيه بتمهل ، وابتسم قائلاً :

ــ أنا (علاء) يا حاجة .

لم تفهـــم .

ــ (علاء) ؟! علاء من يا باشا ؟

ــ (عــلاء) يا حاجة .. (عـــلاء) الصعيدى .. ما بالــك يا حاجة ؟! أخلع هذه الثياب وآخذ دُش تراب وعرق وبؤس كى تعرفينى ؟!

دققت النظر فى وجهه ، فلم تتمالك غمغمتها بدهشة طاغية :

ــ معقول ؟! (علاء) الــ ..... ؟!



ـ هو بشحمه ولحمه .

تبخرت رهبتهـــا وأدبها فى غمضـــة عين ، وانفلـــت هتافها بسوقيتها الأصيلة فيها :

ـ يخرب بيتك !! ما هذا يا مخفى ؟! ما هذا الذى أنت عامله فى نفسك ؟! وأين كنت طوال الأسبوع ؟! وماذا فعلت كى ينقلب حالك هكذا ؟! سرقت أم نصبت ؟!

وجاءها الرد بابتسامة رصينة :

ـ لا سرقت ولا نصبت .

ـ إذن من فعل بك هذا ؟!

ـ فعله من يقول كن فيكون .

ابتسمت مرددة :

ـ سبحانه المعطى الوهاب .

وأخذته فى حضنها بفرحة صادقة :

ـ حمدًا لله على السلامة يا بنى .

ـ الله يسلمك يا حاجة .

ـ تعـــال ..

وهمت بأن تأخذه من يده لتدخل به الشقة ؟ ولكنه استوقفها قائلاً :

ـ بعد إذنك سأصعد أولاً إلى حجرة (ياسر) لأرى إذا ما كان هنا أم فى المقهى .

انطفأ وجه المرأة ، ثم إذا بردها فى غم :

ـ لا هنا ولا فى المقهى .

ـ أين هو إذن ؟

ـ فى القسم .

قطب جبينه مستغربًا :

ـ قسم ماذا ؟!

ـ قسم شرطة الخصوص .

ـ لمـــاذا ؟!

ـ أتهموه بالتجارة فى أقراص مخدرة .

انتفض (علاء) مصعوقًا :

ـ ماذا ؟! ياسر ؟!!!

ـ المسكين .. كلنا نعرف أنه برىء .



ــ إذن كيف حدث هذا ؟

ــ ضابط شاب وثلاثة أمناء من شرطة الآثارى توقفوا بسيارتهم أمام المقهى ، وتناولوا مشروبات كثيـــرة ، وعنــدما طالبهم المسكين بالحساب تشاجروا معـــه ، وطحنوه علقة موت ، ثم حملوه إلى القسم ، وهناك لفقوا له هذه المصيبة .

ــ ومتى حدث هذا ؟

ــ ليلة الأمس ، وسيعرض على النيابة غدًا لأن اليوم عيد العمال ، والنيابة فى عطلة ، وطبعًا سيحتاج إلى محامى معه ، وقد جمع زملاؤه فى السكن من بعضهم ومنى ألف جنيـــه ، وذهبوا إلى محامى ، فإذا به يطلب ألفى جنيـــه مؤكدًا أنه سيخلص المسكين من النيابة قبل أن تتحول تهمته إلى قضية ، ويضيع فيها .

ــ وماذا فعل زملاؤه ؟

ــ وماذا بيدهم أن يفعلوا يا بنى ؟ ألست أنت واحدًا منهم وتعلم أنهم جميعًا مساكين ؟ وأن هذا المبلغ فوق طاقتهم ؟

وانسابت دموع المرأة وهى تردف بمنتهى الحسرة :

ــ ألا يكفى هؤلاء الظالمين هــذا المرار الذى يغرق فيه هذا الشباب المسكين ؟ ألا يكفيهم أنهــم حولوا شـــباب مثـــل الورد إلى مساخيط كلهم بؤس ويأس وضياع ؟ ألا يكفيهم أنهم سرقوا ابتسامتهم ؟ وقتلوا أحلامهم وآمالهم ؟ وجعلوا حالهم يصعب على الكافر ؟ وماذا يريدون أن يفعلــوا بهم أكثـــر مـــن ذلـــك ؟ والله هذا حرام .. حرام ، ولا يرضى ربنا أبدًا ..

وانخرطت المرأة فى البكاء حتى كادت تسقط على الأرض ، فأسرع (علاء) يمسك بها ، ويعيدها إلى كنبتها .. أجلسها ، وراح يُهدِّئها ، بينما هـــو دماؤه تغلى فى عروقه من السخط والكمد ، حتى احتقن وجهه بشكل مؤلم ، فأسرعت أم (يوسف) تقول له بحنان وشفقة :

ــ اجلس يا بنى .

وكان رد الفتى فى غم :

ــ لا وقت للجلوس يا حاجة .. ما هو عنوان المحامى ؟

ــ كـــارته الشخصى مع الشـــباب فـــوق به عنوانه وأرقام تليفوناته .

★ ★ ★



الفصل الثامن

الألفـا جنيـه التى أخذها (عـلاء) مـن يـد (أميرة) وضعها كما هى فى يد المحامى العجوز المخضرم الذى أوفى بوعده ، وحصل على براءة (ياسر) من التهمة المهلكة بعد أن أثبت لوكيل النيابة أنها ملفقة للمسكين ظلمًا وافتراءً ، وغادر (علاء) سراى النيابة بصديقه ، وأعاده إلى مسكنه بعدما تلقاه صاحب المقهى بمنتهى الفرحة ، وطالبه بالعودة إلى عمله بعد أن يستريح من عناء الحبس بقدر ما يشاء .. وتركه (عـلاء) أيضًا ليستريح ، ومضى إلى الفيللا ، ودون أن يبدل ثيابه ، أو حتى يغتسل من غبار وعرق يومه الشاق ألقى بجسده فى فراشه .. بدا واضحًا من نظرات عينيه المرسلة إلى سقف الغرفة باختناق مؤلم أنه مكدود الفكر أكثر مما هو مكدود الجسد ، فمن لحظة أن فارق صديقه وعقله يعمل بأقصى طاقته بحثًا عن سؤال واحد ..

ما هذا الذى يفعله القدر به ؟!

يضع أمه على شفير الموت ، ثم بلا أية مُهلة يدفع المعلم (شحات) لأن يمنحه المال الذى ينقذ به أمه !!

ثم يضع صديقه الوحيد على شفير الضياع ، ثم بلا أية مهلة يدفع (أميرة) لأن تمنحه المال الذى ينقذ به صديقه !!

وفى الحالتين كان هناك تأكيد مسبق على أنه مال حرام ، ففى الأولى كان هناك تأكيد (حسين) القاطع بأن نشاطهم ليس سوى سرقات ضخمة ترتكبها عصابات رهيبة تبدأ بعربات السولار اليدوية ولا يعلم أحـد أين تنتهى ، وفى الثانيـة كانت حمولات البنزين المسروق داخـل مزارع (أبـو سلطان) ، والتى تم تداولها فى حضوره ، وأمام عينيه .. نعم فى الحالتين كان هناك التأكيد بأنه مال حرام ، ومع ذلك لم يكن القدر يمهله أدنى فرصة للرفض أو حتى للتفـكير أو التردد ، فقـد كانت المصيبة تأتى ساحبة فى ذيلها المال الذى ينقذه منها .. مال حرام ، فلماذا يفعل القدر به هذا ؟! لماذا يجعل فك كربه فى المال الحـرام ؟! ولا يترك له سبيل غير المال الحرام ؟! هل هذا سخطًا وغضبًا من الله ؟ أم أنه اختبار ؟ وإذا كان اختبارًا فماذا كان سيحدث لو أنه رفض هـذا المال فى هـذه اللحظات الفاصلة ؟ هل كانت سـتضيع أمه ومـن بعدهـا صـديقه الوحيد المسكين ؟ أم أن القدر كـان سيدركه بسـبيل آخـر حـلال جـزاءً له على رفضه السبيل الحرام ؟ ولكن من أين كان يضمن هذا الجزاء فى

الموقفين اللذين لم يكن فيهما أدنى فرصة للتباطوء .. إنه فى النهاية إنسان .. مجرد إنسان من بشر هذا الزمان ، فهل بمقدور إنسان من بشر هذا الزمان مهما بلغت قوة إيمانه واحتماله أن يغامر بأمه وصديقه فى موقفين كهذين ؟ مستحيل .. مستحيل وألف مستحيل .. والمولى (عز وجل) برحمته خير من يعلم هذا .. يعلم طاقة الإنسان وحدود احتماله ، وهو أرحم من أن يُحمّل إنسان ما لا طاقة له به .. و .....

وإذا بالفتى يجهش بالبكاء ، ثم إذا به يقفز من الفراش ساجدًا على الأرض وصارخًا على ربه بالدموع وبعذاب التمزق والتشتت والعجز :

ـ يا رب ! يا أرحم الراحمين ! هذا الطريق خطوته مرغمًا .. من أجل أمى يا رب .. من أجل إنقاذها من عذاب المرض ومن الموت ، ومن أجل إنقاذ إخوتى من الجوع والضياع .. من أجلهم يا رب خطوت هذا الطريق مرغمًا ، فلم يكن أمامى طريقًا سواه ، وليت مأساتى توقفت عند هذا الحد ، فما إن خطوته حتى فوجئت بأصحابه يضعون سكينهم فوق رقبتى ، وصار بمقدورهم إفناء عمرى كله فى السجون بالأوراق وإيصالات الأمانة التى أخذوها علىّ ، وصرت أنا بين نارين يا رب ، فاما هم وطريقهم ، وإما

ضياعى وهلاك أمى وإخوتى ، فمــاذا بيـدى أن أفعل غيــر الاستنجاد بك ؟ وكلت الأمر لك يارب .. وكلت الأمر لك .

★ ★ ★

بصفاء نفسى عجيب استيقظ (علاء) من نومه .. ظل مستلقيًا كما هو فى الفراش للحظات مستمتعًا بتغريد العصافير المتسلل إليه من حديقة الڤيلا ، وبهديل الحمامة الوحيدة التى اتخذت من إحدى أشجار الحديقة سكنًا لها .. روحه تذوب فى عذوبة هديل الحمام منذ أن تفتحت مسامعه عليه فى دارهم بالصعيد .. هذا الهديل يرده الآن إلى طفولته البهيجة ، وأيامه الخوالى بين أمه وأبيه وإخوته ، وهــو أيضًا الآن يحمل إليه عبق أمه وإخوته وأحبانه والنجع كله .. يا له من إحساس عذب جعل لحظات سكونه فى الفراش تمتد لما يقرب من النصف ساعة ، حتى تدخل هاتفه الداخلى يستنهضه من هذا السحر الوجدانى الذى أخذ بقلبه .. هم بأن يغادر الفراش ، فإذا بطيف (سمر) يتجلّى له .. أسرع يهتف فى خفوت من قلبه :

ـ (سمر) ! حبيبة قلبى !



وأسرع ينتشـل الموبايل من فـوق الكمودينو المجاور له ، ويستبدل شريحة (أميرة) بشريحته ، ويعيد تشغيل الموبايل مرة أخرى ، وما إن فعل حتى انطلق رنين الرسائل متلاحقًا .. تسع رسائل من (سمر) .. همَّ بأن يفتحها ، فإذا بـ (سمر) نفسها ترن .. أسرع يجيبها ، وما إن فعل حتى فوجئ بإعصار غضب جنونى من الفتاة :

ـ أخيـرًا ؟! أخيـرًا يا أصيل يا ابن الأصـول ؟! أخيرًا فتحت موبايلك المحترم ؟! ولماذا ؟! لماذا فتحته ؟! كنت أُتركه مغلقًا .. كنت أتركه مغلقًا ، وأتركنى أنا أموت قلقًا عليك .. لك الحق فى أن تفعل بى هذا وأكثر ، فأنا التى أعطيتك الفرصة لأن تفعل بى هـذا .. أنا التى لم أعمل لى كرامة من البداية .. أنا التى أخطـأت فى حق نفسى ، وأنا التى أستحق كل ما يجرى لى على يديك ، وأنا .... ، وأنا .....

ومضت الفتاة فى وصلة توبيخها له وهى تزداد عصبية ، حتى انقطعت أنفاسها ، وانقطع صراخها ، ولم يعد باقيًا من صوتها سوى لهاثها الذى يثير الشفقة ، فأسرع هو يقول لها فى حسم :

ـ (سمر) .. ساعة بالضبط وسأكون فى مكاننا على الترعة .

وأغلق الخط .. ساعة بالضبط وكانت (سمر) تتلقـاه على كورنيش ترعة « الإسماعيلية » بنظرات تتقد غضبًا ، ولكن قبل أن تنطق بحرف كان (علاء) يسبقها قائلاً بمنتهى الهدوء :

ـ (سمر) نحن فى الشارع ، فلا داع للعصبية .. هيا بنا نجلس واسمعينى ، ثم احكمى علىّ بما يرضيك .

ولم تملك الفتاة إلا أن تطيعه على مضض .. مضى بها إلى طاولات (سامح) على كورنيش الترعة ، وانتظرها حتى شربت عصير الليمون الذى طلبه لها كى تهدأ أعصابها ، وارتشف هو شايه مع سيجارته ، ثم راح يقص عليها كل ما حدث معه من لحظة أن فتح عينيه من نومه ، ليجد نفسه فى شقة خالها المعلم (شحات) ، وحتى لحظة استيقاظه من نومه فى الڤيللا صباح اليوم .. كانت (سمر) تمسك بالكوب الذى به بقية من عصير الليمون .. سقط الكوب من يدها دون أن تنتبـه له .. ضرب الذهول عقلها من ناحية ، وانقبض قلبها انقباضة تشاؤم أسود من ناحية أخرى ، فقد أدركت على الفور أنها دون قصد قذفت

بحبيبها إلى مصير أسود كله شر ، وأدركت أن رؤياها التى هبت منها مذعورة ليلة الأمس قد تحققت .. فقـد رأت حبيبها وسط بحر مظلم مُفزع ، يصارع أمواجه الشيطانية الهائجة بجنون تريد ابتلاعه ، بينما هى تقف على الشاطئ المعتم الخالى تصرخ مستغيثة دون جـدوى ، فلا مغيث يسمعها ، ولا هى قادرة على فعل شىء له .

★ ★ ★

الفصل التاسع

بشارع شبرا انحرفت (أميرة) يمينًا بسيارتها إلى محطة بنزين مزدحمة بالسيارات .. لم تتوقف فى واحـد من طوابير السيارات الطويلة الواقفة أمام ماكينات البنزين ، بل توقفت أمام مكتب مدير المحطة ، لتغـادر السيارة ، قائلة لـ (علاء) الجالس إلى جوارها .

ـ تفضل يا باشا .

ودلفت به إلى مكتب المدير ، والـذى ما إن شاهدها ، حتى سارع بالوقوف مرحبًا بها بحرارة وتبسُّم واحترام بالغ :

ـ أهلاً وسهلاً يا افندم .. أهلاً وسهلاً .

وصافحها ، وصافح (عـلاء) ، ثم أشـار لـ (أميرة) بالجلوس فى مقعده خلف المكتب :

ـ تفضلى يا افندم .. تفضلى ..

جلست (أميرة) ، وجلس هو و(علاء) أمامها ، وألقت الفتاة نظرة على الأوراق التى فوق المكتب ، ثم رفعت وجهها نحو المدير العجوز تسأله :

ــ ها .. ما الأخبار يا أستاذ (رشيد) ؟

ــ تمام يا افندم والحمد لله .. الحال ماشى كما ترين سيادتك .

وأدار الملف الذى أمامها نحوه ، وراح يقرأ منه :

ــ حصة بنزين وسولار شركة مصر للبترول نفذت من ثلاث ساعات تقريبًا ، ونعمل بالبنزين 80 وبالسولار الذى جاءنا من مخزن الخصوص ، ومن دقائق اتصل بى المعلم (شحات) ، وأخبرنى أن هنـــاك مقطورة بنزين 90 قادمة فى الطريق من مخزن الواحات .

ــ يعنى الأمور تمام ؟

ــ تمام يا افندم والحمد لله .

ــ (سعد) حصَّل منك ؟

ــ لا يا افندم .. إيراد الأمس موجود كما هو .

ــ هاته .

ــ أمرك يا افندم .

ونهض المدير إلى خزينة نقـــود بجوار المكتب .. فتحها ، وراح يخرج منها رزم نقود ، ويضعها أمامها قائلاً :

ــ مائة وأربعون ألف جنيه .

ــ تمام .. ضعها فى حقيبة النقود .

فعل المدير ، فالتفتت إلى (علاء) تقدمه له :

ــ الأستاذ (علاء) .. نائبى ، وهو الذى سيشرف عليك من اليوم .

التفت المدير إلى (عـــلاء) قائلاً بتبسم وبانحناءة خفيفة ، وبمنتهى الاحترام :

ــ تشرفنا يا افندم .

وشد (علاء) قامته وهو يجيبه برصانة :

ــ شكرًا يا أستاذ (رشيد) .

ونهضت (أميرة) بحقيبة النقود ، قائلة للمدير .

ــ سلام يا أستاذ (رشيد) .

ــ مع ألف سلامة يا افندم .

والتفـــت إلى (علاء) مردفًا بانحناءته الخفيفـــة وبابتسامته المهذبة :

ـ شرفت يا (علاء) باشا .. مع ألف سلامة .

وبقامته المشدودة ورصانته أجابه (علاء) :

ـ الله يسلمك .

واستدار منصرفًا مع (أميرة) ، وما حدث فى محطة بنزين « شبرا » تكرر فى ثلاث محطات بنزين أخرى فى « مصر الجديدة » و« الجيزة » و« المهندسين » ، ليكتشف (عـلاء) أن الأربعة محطات ملكًا لشركة المعلم (شحات) ، وأن هـذه المحطـات تمثـل منـافذ تسـويق السـولار والبنزين التى يتـم تجميعها من مجموعة مخازن تملكها الشركة أيضًا بأسـعار بخسـة من لصوص المواد البتروليـة ، وذلـك إلى جانب تسويق الحصص المشروعة من نفس المنتجات المخصصة لها من شركات تكرير البترول المعتمدة .

وإذن فهى إمبراطورية مترامية الأطراف تمتزج فيها سرقات فادحة بتجارة حلال محققة مكاسب خيالية ، تفوق حتى مكاسب المخدرات والسلاح والآثار !!!

★ ★ ★

فجـأة رن موبايل (عـلاء) وهو يجلس أمام (أميرة) فى مكتبها ، فأسرع يجيب :

ـ ألـو ...

ـ ....

ـ أهلاً (ياسر) .

ـ ....

ـ عندك ؟

ـ ....

ـ أنا قادم حالاً .

وأغلق الخط وقد انطفأ وجهه ، وشردت عينـاه بنظرة غم ، فأسرعت (أميرة) تسأله بتوجُس من مقعدها خلف مكتبها :

ـ ماذا هناك ؟

ـ أخى (محمود) فى انتظارى بعزبة (شلبى) .

ـ وما المشكلة ؟ اذهب له .

ـ شكرًا يا افندم .

ونهض منصرفًا بوجهه المطفأ غمًّا ، ولكنه قبل أن يصل باب الغرفة سمع (أميرة) تناديه برفق :

ـ (عــلاء) !

ارتد إليها :

ـ افندم ؟

ـ مؤكد هو قادم لأجل مصاريف الغسيل الكلوى لوالدتك .

أومأ لها بالإيجاب ، فإذا بها تفتح خزينة نقود إلى جوارها ، وتأخذ منها رزمتين نقود ، وتناولهما له قائلة فى حنو :

ـ ألفا جنيه .. هل يكفيان ؟

نكس رأسه غارقًا فى حرجه ، فما كان من الفتاة إلا أنها نهضت بالنقود خارجة من خلف مكتبها ، حتى وقفــت أمامه ، وراحت تتأمله بنظرة طويلة يملؤها الحنان ، وجدت نفسها تسأله بعدها بمنتهى الحنو :

ـ أما زلت تخجل منى ؟!

هم بأن يجيبها ، ولكنها أسرعت تقاطعه :

ـ أنت لم تعد مجرد موظف .. لقد صرت .... صرت أكثر من صديق .

مغزى العبارة ، وصوتها المتهدج جعلاه ينتبه متطلعًا إليها بمنتهى الدهشة ، فإذا بها تحلق على وجهه بنظرة تحاول البوح بأمر ما .. أمر كاد يفك أوصال الفتاة من بعضها ، ويذيب حناياها حين جاءت عيناها فى عينيه ، فأسرعت تنتبه إلى نفسها ، وتمد يدها له بالنقود قائلة بجدية رقيقة :

ـ أمسك النقود يا (علاء) ، واذهب لأخيك ، وعلى فكرة ، ليلة أمس فكرت أنا وبابا وماما فى أن نجرى لوالدتك عملية زرع كلية مهما تكلفت .

فوجئ (علاء) :

ـ مــاذا ؟!

ـ اذهب الآن ، وسنتكلم فى هذا فيما بعد .. هيا أمسك النقود واذهب لأخيك الذى ينتظرك .. هيا .

ولم يملك (عــلاء) إلا أن يتناول النقــود منها ، ثم إذا به بمنتهى العفوية يدنو منها أكثر ، ويأخذ برأسها بين يديه ليطبع

قبلة على جبينها ، ولكن فجــأة حدث ما جمد الدم فى عروقهما ، من شدة الفزع .. دُفع الباب بقوة جنونية ، وإذا بـــ (سمر) تندفع نحوهما صارخة فيهما بجنون كوحش كاسر فقد عقله :

ـ هــذه هى الحــكاية إذن يا (أميــرة) هانم !! هــذه هى الحكاية !!

وانتصبت أمام (أميـــرة) تلتهمها بنظرات نارية مسعورة ، وتنتظر منها ردًا ، ولكن أين هى (أميرة) ؟ لقد هربت الدماء مــن عروقهـــا ، فتجمـــدت فى مكانها عاجزة عن النطق حتى بحرف ، ولكنها بعــد وهلة استطاعت بالكاد أن تسألها بصوت متحشرج :

ـ ماذا حدث يا (سمر) ؟!

وجاءها الرد بسخرية سوقية :

ـ ماذا حـــدث ؟! ألا تعـــرفيـــن ماذا حدث ؟! حـــدث ما أراه يا (أميـــرة) هانم ، يا بنـــت خالى .. حـــدث الفيـــلم الممل .. فيلم الســـندريلا أم ريش نعـــام والشـــاطر (حســـن) الذى يأكله الفقر ، ولكن مع تعديل بسيط ، وهو أن الشاطر (حسن)

هنا هو حبيبى الذى خرجت به من الدنيا ، والسندريلا هى ابنة خالى أى أختى !!

وكان رد (أميرة) وهى ما زالت تنطق بصعوبة مؤلمة :

ـ ما هذا الذى تقولينه يا (سمر) ؟!

ـ الحقيقة يا هانم .. أقـــول الحقيقة .. الحقيقة التى أراها بعينى ، أم تريديننى أن أُكذّب عينىّ ؟

والتفتت إلى (علاء) تسأله بنفس عصبيتها وسخريتها :

ـ أليســـت هـــذه هى الحقيقة يا أستاذ (علاء) ؟يا (علاء) باشا ؟

وهم (علاء) بأن يجيبها ، ولكن فطنته رغم وقع الصدمة عليه سارعت بتنبيهه إلى حرج موقفه .. فهو يقف بين قريبتين تربطهما صلة دم قوية ، فماذا بمقدوره أن يقول أو يفعل ؟ وجد نفســـه يلتفـــت إلى (أميـــرة) بحَيرته المؤلمـــة ، فإذا بصرخة (سمر) فيه :

ـ انظر لها يا شاطر (حسن) ! انظر لها واطلب منها الحماية أيضًا إذا أردت ..

والتفتت إلى (أميرة) تسألها بغل فظيع :

ـ ماذا فعلتى به ؟! مسختيه ؟! ما كنت أعرف أنك قادرة إلى هذا الحـد .. كنت أعرف أنك لصة سولار وبنزين سابغة ، ولكنى ما كنت أعرف أنك لصة قلوب بشر أيضًا !! ما كنت أعرف أنك أحقر لصة على ظهر الأرض !!

ـ اخرسى !!

هكذا دوّت صرخة (أميرة) فى (سمر) وهى تهوى على صدغها بصفعة وحشية كادت تقتلع رأسها من رقبتها ، ومضت صارخة فيها بغضب هيستيرى :

ـ اخرسى يا حيوانة !! وهيا اخرجى من هنا !! اخرجى !!

وأسرعت تضغط زر جرس مثبت بالمكتب ، فإذا بأربعة شباب من أمن الشركة يقبلون على الفور .. أسرعت تصرخ فيهم :

ـ ألقوا بهذه الكلبة فى الشارع !!!!!!

★ ★ ★

الفصل الثامن

انفجرت الكارثة ....

ففى صالون شقة المعلم (توبة أبو المجد) كبير الصعايدة فى عزبة (شلبى) وضواحيها ، وبغضب جنونى مُفزع يكاد يذهب بالعقول ، وبدماء تغلى فى العروق كمـاء النـار اجتمع فريقًا الصدام العائلى المروِّع .. فريق (أميـرة) ووالديها المعلم (شحات) و (رقيـة) ، وشقيقها المقدم (عصام الشحات) ، يواجهه فريق (سمر) ووالدتها (عزيزة) ، وشقيقها (ناصر) ، وخالها (رفعت) ، وعمها المعلم (خلف) ..

العائلة الصعيدية الكبيـرة التى كـان يُضرب بها المثل فى وحدتها وترابطهـا وتراحمها شقتها عصـا الشـيطان النارية الملعونة .. أشعل الشيطان فتيل النار فى صدورهم وأعصابهم جميعًا ، واندفعت (سمر) تنفخ فى الفتيل بصراخها الهيستيرى الذاهل فيهم :

ـ أنا ؟! أنا تطردنى (أميرة) من مكتبها ؟! أنا ؟! أنا يحملنى شباب غرباء ويلقون بى فى الشارع ؟! شباب غرباء يمسكون

بجسدى ولحمى ؟! وبأمر من ؟! بأمر (أميرة) ؟! (أميرة) ابنة خالى (شحات) ؟! (أميرة) التى كانت لى منذ أن فتحت عينَى على الدنيا أختى لا ابنة خالى ؟! (أميرة) التى كنت أعتقد أنها لن تتردد للحظة واحدة فى أن تفتدينى بحياتها دفاعًا عن عرضى وشرفى إذا ما اقتضى الأمـــر ؟! (أميرة) هـــذه تجعل شبابًا غرباء يمسكون بجسدى ولحمى ويلقون بى فى الشارع ؟! وتقول لهم ألقوا بهذه الكلبة فى الشارع ؟! (أميرة) هذه تجعلنى كلبة مُباحًا لحمها وعرضها وشرفها لأيادى الغرباء ؟!

ياااااااااه !!!

يااااااااااه يا أهلى وناسى !!!

ياااااااااه يا أصحاب عرضى وشرفى !!!

ماذا أقول لكم ؟ وماذا أفعل أمامكم كى تحسون بى الآن ؟!

ألطم خدودى من الآن وحتى آخر عمرى ؟! أم أشق ثيابى أمامكم حسرة على عرضى الذى هُتك وشرفى الذى ذُبح بأمر الست (أميرة) ابنة خالى (شحات) الذى جعله الزمن أبًا لى ومسئولاً عن عرضى وشرفى ؟!

يا لعارك يا خالى (شحات) !! يابا (شحات) !!

يا كبيرى وكبير العائلة !!!

يا لعارك يا خالى (رفعت) !!!

يا لعارك يا عم (خلف) !!!

يا لعارك يا (عصام) باشا .. يا ابن خالى .. يا ابن الأصول !!!

يا لعارك يا معلم (توبة) يا كبيرنا كلنا !!!

يا لعاركم كلكم يا أهلى وناسى !!! يا كبارى !!!

يا أصحاب عرضى وشرفى !!!

سياط ..

سياط من نار جهنم هوت ملتهبة متلاحقة فوق كرامة الرجال ، فلم تتركهم إلا وقـد سحقهم الذهول .. تجمدت عيونهم جاحظة مبهوتة على وجـــه (ســمر) ، ووقفــت الكلمــات فى حلوقهم كسُدادات حجرية تكاد تُزهق أرواحهم ، ولو كانت سكرات الموت داهمتهم لكانت أرحم ألف مرة مما فعلتـــه بهم (سمر) .. إنهم

الصعايدة الذين لا عذاب لديهم يفــوق عـــذاب المساس بالشرف والعرض .. ذلك العذاب الذى جعل المعلم (شحات) يلتفت إلى ابنته بنظراته الجاحظة الذاهلة المتسائلة ، وتبعه الآخرون بنفس النظرات محاصرين (أميرة) وهى تجلس إلى جوار أمها ، فكان صراخها سريعًا بمنتهى الانفعال والاختناق :

ــ لا يا بابا .. لا يا حضرات .. الأمر ليس هكذا .. الأمر هكذا مقلوب .. نعم مقلوب ، فاسمحوا لى أن أحكى لحضراتكم ما حدث ، ثم انظروا من منا التى جلبت العار عليكم جميعًا أنا أم ست العفة والشرف الست (سمر) ؟!

وهمت بأن تحكى ، فإذا بتحذير المعلم (شحات) لها بمنتهى الصرامة :

ــ اخفضى صوتك يا بنت وأنت تتكلمين !

وجاءه رد (أميرة) فورًا ، وبمنتهى الخشوع والأدب :

ــ أمرك يا بابا .. أنا آسفة .

وابتلعت ريقها بصعوبة ، ثم شرعت تحكى بصوت خفيض مخنوق :

ــ الذى حدث أننى كنت أجلس فى مكتبى مع موظف جديد فى الشركة ، أشرح له بعض أمور العمل ، وإذا بالباب يُفتح فجأة بمنتهى العنف حتى كـــاد يسقط فوقنا ، وإذا بـــ (سمر) تقتحم المكتب ، وتنهال علينا بالسباب وبألفاظ بذيئة وبصراخ جنونى ، وكـــاد يُغشى علىّ فى مقعدى من هـــول المفاجأة والذهول ، ولم أفهم شيئًا ، ولكنى ما لبثت أن فهمت من كلامها الذى مضت تصرخ به .

وجاءها سؤال المعلم (توبة) :

ــ فهمت ماذا ؟

ــ فهمت أنها تصرفت بهذه الطريقة لأنها علمت من موظفى الشركة أن هذا الموظف موجود معى فى المكتب .

ــ وماذا فى ذلك ؟!

ــ فيه الغيرة يا معلم (توبة) .

فوجئ الرجل :

ــ الغيــرة ؟!

ــ نعم يا معلم (توبة) الغيـــرة ، فالست (سمر) تعيش مع هذا الموظف قصة حب .

ــ اخرسى ! قطع لسانك .

هكذا دوّت صرخة (سمر) فى (أميرة) وهى تنتفض واقفة ، وإذا بـ (عزيزة) تندفع بشبشبها فى يدها نحو (أميرة) وهى تصرخ فيها أيضًا :

ــ بنتى أشرف منك يا بنت الـ ......

ولم تكملها ، ولم تكمل يدها بالشبشب طريقها إلى (أميرة) ، فقد سقطت فى قبضة المعلم (توبة) الذى انتفض واقفًا ، قابضًا على يدها حتى كاد يحطمها وهو يحدجها بنظرة غضب مرعبة جعلت المرأة ترتعد فزعًا ، ثم كانت كلمته دون أن يفك قبضته عن يدها ، ودون أن يزحزح عينيه الغاضبتين عن عينيها :

ــ أخرج أمك من هنا يا (ناصر) !

وأسرع (ناصر) يخرج بأمه من القاعة وهو يغلى غضبًا ، بينما أمه تصرخ من قلبها :

ــ حسبى الله ونعم الوكيل فيك يا (أميرة) يا بنت (رقية) .. حسبى الله ونعم الوكيل فيك .

وأطبق الصمت والذهــول على الجالسين فى القــاعة جميعًا ، حتى عاد (ناصر) بمفرده ، وجلس فى مقعــده وهو يحدّق فى (أميرة) بمنتهى الغل ، فحدجه المعلم (توبة) بنظرة حادة ، ثم عاد يسأل (أميرة) :

ــ هل أنت فى كامل وعيك يا (أميرة) ؟

دُهشت (أميرة) :

ــ ماذا تعنى يا معلم (توبة) ؟!

ــ أعنى هل تدركين خطورة كلامك هذا الذى قلته ؟

ــ يا معلم (توبة) ما قلته حقيقة .. (سمر) تعيش قصــة حب مع هذا الموظف ، بل ....

وسكتت (أميرة) مترددة ، فكان سؤال المعلم (توبة) لها بحدة مكتومة :

ــ بل ماذا يا (أميرة) ؟

ــ بل قصة طيش يا معلم .



فوجئ الرجل :

ـ طيش ؟؟!

ـ نعم يا معلم (توبة) طيش ، وطيشها هذا كاد يتسبب فى كارثة للعائلة كلهـا ، فقـد حدث فى نهاية الشهر الماضى أن ضبطها عمى (رفعت) معه فى أحد الشوارع قرب منتصف الليل ، وكاد يقتله ليلتها لولا أن أدركه بابا فى اللحظة المناسبة ، ومنع الكارثة ، ثم رأى بابا بحكمته أن يلحق هذا الشاب بالشركة كى يكون تحت بصرنا ، وكى يمنع تكرار هذه المصيبة ، فإذا بالست (سمر) تسعى إليه فى الشركة ، وتطارده حتى وهو فى مكتبى بهذا الجنون ، فمـاذا كـان بوسعى أن أفعـل غير ما فعلت ؟! ماذا كـان بوسعى أن أفعـل أمام هذه الفضيحة ؟! وماذا كان بوسع أىّ مـن حضراتكم أن يفعـل فى هـذا الموقـف ؟! وهل أخطأت بتصرفى هـذا معهـا ؟ ثـم فى النهاية هل أنا التى جلبت لكم العار عندما طلبت من الموظفين إخراجها من الشركة ؟! أم هى التى جلبتـه بطيشـها وفضائحها وجنونهـا ؟! أنا أم هى يا حضرات ؟! أنا أم هى ؟!

وأسرعت الفتاة تدفن وجهها فى كفيها لتدارى دموعها التى اندفعت من عينيها باختناق لا يُحتمل ، فى حين أطبق الصمت المعجون بالذهـول على الرجـال ، ووجدوا أنفسهم يلتفتون إلى (ناصر) محاصرينه بنظرات متسائلة ، فإذا به يفوقهم ذهولاً وغمًّا وحيرة ، فلم يجدوا بدًّا من التوجه بنظراتهم المتسائلة إلى كبير المجلس المعلم (توبة) ، فإذا به يهز رأسه يمينًا ويسارًا ، مرددًا بمرارة تفوق مرارتهم أجمعين :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ..

ثم أشعل لنفسه سيجارة من علبته الـ (مارلبورو) ، وسحب منها نفسًا طويلاً ، التفت بعـده إلى المعلم (شحات) ليسأله بهدوئه المعجون بمرارته :

ـ من يكون هذا الولد يا (شحات) ؟

وجاءه رد المعلم (شحات) فى غم :

ـ ولد من أسيوط .

وجاء السؤال التالى للمعلم (شحات) من المعلم (خلف) :

أيعرفه أو شاهده أحدنا ؟

ــ أنت شاهدته يا معلم (خلف) .

ــ متى ؟ وأين ؟

فى مخزن الخصوص حين جاءنى لأول مرة ، وكنتما تجلسان معى أنت و (رفعت) .

وأطرق المعلم (شحات) هنيهة ، ثم أردف بمرارته :

ــ ولد يتيم ، يعول أمه وإخوته ، وظروفه قاسية .

وإذا بـــ (رفعت) كمن لدغته عقرب ينفجر صارخًا فى المعلم (شحات) بمنتهى السخرية والتهكم ، وبعصبية جنونية تخلو من أى احترام :

ــ والله يا معلم (شحات) ؟! ولد يتيم وظروفه قاسية ؟! وماذا أيضًا ؟! ماذا أيضًا ياسى (شحات) ؟! حرام نبعده عن عرضنا وشرفنا .. أليس كذلك ؟! نتركه يمرغ شرفنا فى الوحل ، ونقف فى ظهره نحميه ، ونشجعه ، ونسمى عليه .. أليس كذلك يا رجـل العائلة ؟! يا كبيرها وحامى أعراضها ؟! يا خســارة ! يا خسارة الرجال حين يخيبون !! يا ألف ألف خسارة !!

وبُهـت المعلم (شحات) ، وبُهت الرجـال ، ووجـد المعلم (توبة) نفسه يحدّق فى (رفعت) بذهول ، ولكن ذهوله ما لبث أن انقلب غضبًا مستعرًا وشراسة مفزعة ملأت عينيه وهو يسأله بهدوء مثير :

ــ ما هــذا يا أخ ؟! مــن أذن لك بالحديث ؟! وكيف سمحت لنفسك بأن تخاطب شقيقك الأكبر بهذا الأسلوب أمامنا ؟! وأن ترفع صوتك هكذا فى المجلس ؟!

وإذا برد (رفعت) بابتسامة ولهجة تضاعفت فيهما سخريته وتهكمه :

ــ يااااه !! كل هذه أخطاء ارتكبتها .. آسف .. آسف يا معلم (توبة) آسف لك وللموجودين جميعًا ، وأعدك وأعدهم بألا أرفع صوتى أمامكم مرة أخرى ..

وإذا به ينتفض واقفًا ، شاهرًا مسدسه الضخم فى وجوههم ، ومردفًا بغل شيطانى مريع :

ــ نعم يا حضرات .. لن أرفع صوتى أمامكم مرة أخرى ، ولكنى سأرفع هذا ، وسأفرغه فى رأس المحروس .. لقيط أخى الأكبر المعلم (شحات) .. لقيطه المدلل الذى مرّغ شرفنا فى

الوحل ، وأهال التراب فوق رءوسنا جميعًا ، ومع ذلك ما زال يثير شفقة أخى الأكبر المحترم وشفقتكم جميعًا ، وتريدون أن تمنحونه حمايتكم ..

ضرب الذهول الموجودين جميعًا ، وتكهربت أعصابهم جميعًا ، وهبت (رقية) مندفعة نحو المعلم (توبة) ، وهى تقول له فى ارتياع :

ـ أُعذره يا معلم (توبة) .. إنه خال (سمر) ، وفى مقام المرحوم والدها .

ولكن كلمات المرأة ضاعت أدراج الرياح ، فلم يلتفت إليها المعلم (توبة) من بطش غضبه ، ونهض متقدمًا من (رفعت) وهو يحدق فيه بنظرة مسعورة احتشدت فيها شراسة وحوش الدنيا بأسرها ، حتى توقف أمامه ، ماضيًا فى حدجه بنظرته المفزعة لوهلة ، خرجت بعدها كلمـــاته معدودة نافـــذة ، كأنها قذائف نارية لا نجاة منها :

ـ اسمع يا .... لطالما سمعت بحماقتك ، ولكنها لم تكن تهمنى مـــن قريب أو بعيـــد ، أما وقد رأيتها بعينى الآن .. هنا فى حضورى ، وفى مواجهتى ، وتطاولت بها علىّ ، فاسمع منى

هاتين الكلمتين .. علىّ الطـــلاق مـــن بيتى لأزوجن هـــذا الولد لـــ (ســـمر) فـــورًا ، ولأجعلهما يعيشـــان فى حمايتى وحماية أولادى من بعدى ، وإذا ما حاول أى مخلوق مهما كان شأنه أن يضايقهما ، أو يتعرض لهما بأقـــل أذى ، فســـوف يكون جزاؤه الإبادة من فوق الأرض ، ولو كان الثمن بحورًا من الدم .. فهل يكفيك هذا الرد يا عم الأحمق ؟!

وانغرست نظرة المعلم (توبة) المفزعة فى عينى (رفعت) حتى كادت روحه تتفجر شظايا من هول الصدمة والذهول ، بينما لم يجروء أحد من بقية المتواجدين فى القاعة على النبس ببنت شفة !!!!

★ ★ ★



الفصل التاسع

إحساس خرافى تملَّك الحبيبين .. (سمر) و (علاء) ..

إحساس امتزج فيه اللون الوردى بعبير الأمل ، بأهازيج الفرحة ، بجنون السعادة ..

إحساس فرد أجنحة سعادتهما ، ورفع كل منهما فوق متن سعادته ، وأطلقه بعيدًا .. عاليًا ، ليسبح فى الآفاق الوردية ، والأحلام الوردية ، وأيام وليالى العمر الوردية ..

دهشــــة !!

دهشــة طاغية .. عــارمة .. جارفة .. قذفــت بالحبيبين .. بعقليهما .. بقلبيهما .. فى قلب الذهول المطبق الفاصل بين التصديق وعدم التصديق !!

معقول !!

معقول سيتزوجان ؟!! معقول ؟!!

معقول سيُزفان بثياب العُرس ؟!!

سيجلسان معًا فى كوشة العُرس ؟!!

سيدخلان معًا شقة واحدة ؟!!

سيُغلق عليهما باب واحد ؟!!

وكاد عقل (علاء) يطير منه !!

معقول سيكون له بيت وزوجة بعدما صار له عمل وجيه مربح ؟!!

ومن تكون زوجته ؟!!

حبيبته ؟!!

حبيبته (سمر) ؟!!

حبيبته (سمر) التى كان كلما حاول تخيُّل نهاية لحبهما أيقن كل اليقين أنه لا نهاية له سوى الفراق .. الفراق الأبدى ..

وأيقن أن مجرد الحلم بزواجه منها هو الحماقة بعينها ..

فأين هو من مشروع الزواج الذى يتكلف عشرات وعشرات الآلاف من الجنيهات ؟

أين هو من مشروع الزواج وهو الذى كان حتى شهر واحد مضى يعجــز عن سداد إيجــار حجرة عطنة فوق سطوح عقار متهالك ؟!

أين هو من مشروع الزواج وهو الذى كان حتى شهر واحد مضى عاطلاً لا يملك قوت يومه ؟! ويأكل لقمته بالدين ؟!

كان يذوب حبًّا فى حبيبته ..

نعم ..

وكانت حبيبته تبادله الحب بحب أكبر منه ..

نعـــم ..

ولكن حبهما هذا كان يمضى نحو مصيره المحتوم .. الإعدام ..

نعم .. لم يكن لحبهما مصير غير الإعدام .. الفراق .. الفراق الأبدى .. تمامًا مثل المئات ، بل الآلاف من حكايات الحب التى يتم إعدامها يوميًّا بزواج الحبيبة من طرف آخر غير حبيبها قادر على شرائها بماله ..

ولكن ها هى معجزة سماوية تحدث على نحو يكاد يذهب بعقل الحبيبين ..

ها هى السماء تتدخّل بقدرتها ورحمتها وعظمتها لتنقذ حبه هـــو وحبيبة قلبـــه وعمره (سمر) من هـــذا المصير الأسود المأساوى البائس ..

ها هى السماء تدبِّر الأمر تدبيرًا عجيبًا سريعًا ، واضعة قرارها بزواجه من حبيبته على لســـان رجل كلمته نافذة على أهلها أجمعين هو المعلم (توبة) ، وواضعة تكاليف الأمر كلها فى رقبة رجل ميسور كريم ، لا حدود لكرمه هو المعلم (شحات) ..

تدبير إلهى كله رحمة وعظمة .. تدبير خطف قلب الفتى ، فأسرع يسجد بين يـــدى خالقـــه ، هاتفًا من أعماق قلبه بحمده وشكره ، وبدموع غزيرة ألهبتها فرحة القلب المتعطش للفرحة ..

و ....

وفى خمسة عشر يومًا تم تجهيز عش الزوجية – شقة جميلة من ثلاث غرف ورسبشن تم تجهيزها وتأثيثها كلها على أكمل وجه ، وبما لم يحلم به العروسان – بالطابق الذى يعلو شقة أم العروس مباشرة ..

وأمام كوافير « باريس » الذى يتوسط شارع « عين شمس » – والتى كانت (سمر) كلما مرت به ، وشاهدت أمامه موكب عُرس حلمـــت باليـــوم الـــذى تدخله عروسًا لحبيبها – اصطفت

ما يزيد على العشرين سيارة ملاكى ، تتوسطها سيارة العروسين « المرسيدس العيــون » ، المزينـــة بزينة الزفــاف ، وقد وقف إلى جوارها العريس يشع بهــاءً وجمـــالاً وروعـــة فى بدلة العُرس ، ويكاد يطيــر مــن فــوق الأرض مــن فرط سعادته ولهفته على عروســه التى يجــرى تزينهــا بالداخــل ، بينما أهله وأهل عروسه وعشرات المدعووين يتزاحمون من حوله ، وقــد حلّقت فوقهــم جميعًا زغاريد عفية مغردة مفعمة بالفرحة لا تنقطع ..

ولكنها ...

لكنها فجأة انقطعت ..

قطعتها صرخة مروعة من داخل المحل ..

تلتها صرخة أشد فزعًا :

ــ سمــ.....................ر

واندفع الواقفين جميعًا نحو المحل فى ذهول ..

واصطدم (علاء) بامرأة تندفع جريًا من المحل ، فأسرع يمسك بها ، ويصرخ فيها بمنتهى الفزع :

ــ ماذا هناك ؟!

وجاءته صرخة المرأة فى وجهه :

ــ (سمر) ماتت !!!!!!!!

وإلى اللقاء فى الجزء الثالث



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجًا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

ملك النار «جزء 2»

.. وعندما يكتشف أنه سبق له أن عمل مع هذه المافيا لأكثر من شهر متواصل دون أن يدرى، وأنه عاد اليوم ليواصل عمله معها بمنتهى الحماس، فإن المفاجأة هنا لابد أن تتحول إلى مصيبة .. مصيبة كافية لأن تنسف عقله وأعصابه فى التو واللحظة ..

119

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



